نقد الذات



عبارة الاصلاح اكثر الالفاظ استعمالاً في لغة العرب اليوم . وقد غدا معنى « النهوض » بؤرة الاستقطاب في حديث الناس . وما اسرع الخيبة الى نفس المتفائل حين يكتشف زيف هذا الحديث .

فالنهوض عند بعضهم تقرير لواقع ، بينما الواقع يروي قصة الغفلة والدَّجل والغرور . وهو في عرف بعضهم الآخر مجرد أمنية اختل اساسها فقامت إما على عنصر الاستغلال السياسي ، وإما على نزعة التقليد العفوية بازاء خضم التقدم العالمي . وعبثاً تحاول البحث عن معنى الارادة في مفهوم النهوض عند هؤلاء جميعاً ، مع ان الاصلاح العربي لن يتحقق الا حين تتحول فكرة النهوض الى ارادة . وتلك بداهة يبدو انها مغمورة : اذ ان حدوث الامور مرهون بان يُراد . والارادة تصور وعمل ، اي ادراك سليم للواقع باكمله وبكل ما يحيط بجوانبه ، وفعل حر ثابت مندفع بقوة الايمان . اما حين لا يكون هناك ادراك سليم ، فلا فعل ولا ارادة ، وليس ثمة من حدوث لأمر ما . ومن الواضح ان هذا الادراك لا يُولِّد الفعل مباشرة ، ولكن يوجد اولاً مبررات هذا الفعل : انه يخلق الشعور بالحاجة اليه .

والملاحَظ في الواقع العربي ان الافتقار الى هذا الشعور بالذات ، هو السبب العميق في عدم تكوّن ارادة النهوض: فلا وجود لشعور او ايمان صميم بالحاجة الى النهوض ، ما دامت فكرة النهوض وصفاً كاذباً للحاضر ، او صورة عاطفية خاوية تستعمل كاداة سياسية خادعة او سلعة تقليدية منغلة في مضمار العمل القومي . ونحن اذا تحرينا علة ذلك في مجال الادراك امسكناً بخيط الحقيقة: فهناك عدم تصور للتقدم السوي من جهة ، وهناك عدم تمييز لمعالم الفساد الحقيقية في واقع العرب من جهة اخرى ؛ ومرجع هاتين الظاهرتين كليهما الى ظاهرة رئيسية هي عدم تمثل روح الحضارة الحديثة . فالعرب يعايشون اليوم هذه الحضارة في صورها واشكالها، ولكنهم يغفلون عن روحها ، وذلك ما اثبتناه في جملة ابحاث آنفة ، بحيث نستطيع التأكيد بان تكوّن الشعور بضرورة النهوض ومن ثم النهوض ، رهينان بهضم هذه الحضارة .

إن هذا الوضع هو ما يعين المهمة الرئيسية لكتاب العرب . فاذا كانت الوسائل الحالية لنشر الثقافة لم تؤد بعد الى هضم الحضارة الراهنة بشكل واسع النطاق ، فالامل معقود على هؤلاء الرجال لكي يستخدموا نضجهم الفكري في الانارة والتنبيه الى الحقيقي الاصيل من مساوىء الحاضر ومقاصد المستقبل ، اي في ما يؤول الى بعث الشعور بالحاجة الى النهوض . وهذه المهمة هي ما يصح ان ندعوه « نقد الذات » .

من الراهن أن لا سبيل الى كمال الذات الا بادراكها لنفسها اولاً . فمبدأ « إعرف نفسك » هو نقطة البدء لكل تكامل . واذا كانت الذات في منحدر ما ، فادراكها لنفسها متركز في النقد ، وهو ما ينتج عن المقارنة بين حاضر مجرح ، وبين صورة واضحة للكمال المثالي . وهذا النقد ، اذ يتميز بالنزاهة ، قابل للصدور عن احدى جهتين: فهو يأتي اما من خارج واما من داخل . فاما اذا جاء من خارج فهو لا يؤتي ثمرة الاصلاح المرجوة ، لانه يتعرض بذلك لعامل سوء الظن ، ويتحطم غالباً على صخرة الكرامة الشخصية او الغرور ، لذا كان لا بد للنقد من ان يصدر عن الذات اياها ، وهذا ما لا يتم طبعاً الا بعد ان تعتمر الذات بالثقافة الكفيلة بتركيز قدرة التمييز والتي يمثلها رجال الفكر .

إن على هذا النقد ان يكون نيِّراً يراعي مراقبة الواقع بعين العلم ، وحازماً متجرداً من اية آثار للعاطفة القومية ، الا ما جعل من هذه العاطفة باعثاً له فقط . وعليه ان يتناول من الامور والقضايا ما هو فعلاً جوهري وصميم في الكيان الاجتماعي ، وليس الاعراض والتوافه التقليدية التي لا تشكل في الحقيقة غير قضايا زائفة ، هي اغلب ما اثير حتى الآن من مشاكل ، دون ان تخلف اثراً في الوجود العربي لافتقارها الى المادة والاساس على السواء . اما الهدف الاول لهذا النقد فهو تحديد المفاهيم الرئيسية للحياة الاجتماعية ، وبخاصة منها مفهومي التأخر والتقدم . فالخطأ في تمثل هذه المفاهيم هو في الواقع مصدر هام من مصادر العلل في الحياة العربية ، وسبب اخفاق معظم محاولات النقد كذلك .

إن اول مظهر من مظاهر تكوّن ارادة النهوض في العالم العربي هو موجة جماعية من نقد الذات ، وان مدى تركيز هذا النقد وعنفه هو الذي يعين حقيقة هذه الارادة ومدى صدقها .

محمد وهبي

الحلقة المفقودة في نهضتنا الثقافية

بقلم رشاد دارغوث

منذ ثلث قرن او يزيد* ، استيقظنا ، في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، واذا باصوات خيرة ونبرات حلوة تقول وتردد دون ملل : الى العلم ، الى العلم .. العلم نور ! فاصغينا باهتمام الى ذلك النداء الصافي الجرس ، لانه شبيه بالدعوة السابقة التي صدرت عنا وتجاوبت بها اطراف العالم من قبل ، ثم نسيناها : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » .

وكان ان استجابت شعوبنا لهذا النداء ، لا بقوة ما فيه من صدق واخلاص فحسب ، ولا بداعي الحاجة الملحة ، بل لما استقر في « لا وعي » هذه الشعوب ، كل فرد من هذه الشعوب من رواسب ماضيها العريق ، ومقومات شخصيتها المتميزة !

ولعل عصور الانحطاط والاستعمار التي رانت على شعوبنا قروناً متطاولة ، لم تكن الا لتزيد ذكرى ذلك الماضي تأججاً في النفوس ، وتلك الشخصية حيوية عند الامتحان ، شأنها شأن الضغط على الاجسام السائلة ، يزيد في طاقتها وقدرتها .

وهكذا اقبل الناس على المدارس التي اخذت بالتكاثر ، وغدت تعمل بالسرعة التي تقتضيها الظروف الخاصة ، ظروف ما بعد الحرب ، ووفرة المقبلين عليها ، وقلة المعلمين الاكفاء والمربين الصالحين من بنيها . وكان لا بد والحالة هذه من قيام التنافس بينها ، وهي المؤسسات المختلفة المتعددة النزعات بسبيل الاستئثار باكبر عدد من التلامذة والطلاب ، وبالتالي باكبر قسط من الربح .

فكان هذا السباق الذي لم ينته ، في سبيل الشهادات الصحيحة والمزورة ، وهذا التفاخر بالالقاب المستحقة والمشتراة ، فضلاً عن التزاحم المستمر بين مختلف الثقافات والدعوات !

وقد كنا ، ولا نزال ، اذا دخلنا اكثر تلك المدارس والكليات .. لا نجد فيها من وسائل التعليم والتربية الصحيحة ، شيئاً مذكوراً . بل نحن لا نجد في اكثرها مختبراً واحداً ، تتعلم فيه الناشئة كيف تطبق العلم النظري او كيف تتمثل المعرفة وتهضمها ، بتحويلها من كلمات محفوظة ميتة الى عمل حي فاعل .

العلم النظري

وهكذا جاء اقتصار التعليم على الناحية النظرية طوال ثلاثين سنة مبطلاً للجهود الشاقة المبذولة في حقل الثقافة العامة ، اذا لم نقل انه كان مفسداً فقد انقلب الفتى المتعلم عندنا انساناً لا يستطيع ان يعمل اي عمل ، ولو كان ذلك مهنة ابيه . بل صار ذلك الفتى الى حال يحتقر معها اباه وكل عامل يدوي . اي ان العلم المرغوب فيه كي يكسب المتعلم مهارة وحذقاً في العمل ، ويقرب ما بين الاجيال للتعاون على خيرها وخير الامة ، قد انقلب الى مانع او « عازل » يحول بين صاحبه وبين الانتاج ، ويحول بينه وبين التضامن مع سواه .

والانتاج لا يكون في الاستخدام ولا في ما يسمونه بالاعمال او المهن الحرة . بل يكون الانتاج في استنبات الارض واستخراج ما في جوفها ، ثم في صناعة ما نستنبته وما نستخرجه كما يكون الانتاج كذلك في ما ينشئه رجال الفكر والعلم والفن من مبتكرات خيرة ، واعمال بناءة ، وفنون اصيلة !

وهكذا حال العلم النظري بيننا وبين الانتاج ، وهو عمود الاقتصاد الفقري ، والاقتصاد قوام الحياة . فصرنا نستورد من الخارج حتى اللقمة والقميص . فذهبت بذلك ثروتنا الوطنية المخزونة ، ولم نبرح نخسر في كل عام اكثر دخلنا الوطني ، اي مجموع ما يجنيه الشعب بعرق الجبين ونور البصر ، ندفعه ثمناً لتلك المستوردات التي لا تعد انواعها ولا تحصى كمياتها ، ومنها الشهادات والالقاب الفارغة !

حتى الصناعة التي رافقتنا منذ اقدم العصور ، كصناعة السفن

---

* محاضرة القاها الكاتب في الكلية الانجليزية السورية اللبنانية ودار المعلمات للبنات في بيروت .

لم ترتق الى مرتبة محترمة ، لان العلم النظري لم يوفر لنا الفنيين الصالحين ، ولا بعث الايمان في قلوب المتمولين فحملهم على تدعيم تلك الصناعات برؤوس اموالهم ، او مد الاختصاصيين الآخرين لانشاء صناعات جديدة ملائمة للبيئة .

واورد لحضراتكم على سبيل المثال ان احد الاختصاصيين في علم البيولوجيا (علم الحياة) – وقد يكون الوحيد في بلادنا – قد اضطر بعد انهاء دراسته في اوروبا الى الاستخدام بمعاش زهيد .. لانه لم يجد المال اللازم لانشاء مختبر ، يتمكن فيه من تطبيق علمه واستكشاف الاسرار التي لم تبرح تكتنف الحياة !! وان احدى الاختصاصيات بالكهرباء عندنا تبحث الآن عن المال اللازم لانشاء مختبر تفيد فيه من علمها ، وتفيد به الوطن من اختصاصها النادر .

فلو كان ايماننا بالعلم الذي تعلمناه يوازي ايماننا بالذهب الذي يختزنه فريق منا .. او « بالورق » الذي ننفقه بالالوف على موائد القمار والمآدب والحفلات .. لوجدنا العشرات من ارباب المال يسارعون الى « استثمار » اموالهم بهذه الطريقة التي لا ينقصها حتى تكون « تجارية » رابحة الا قليل من البذل في اول الامر – كما نبذل على الاعلانات – ثم تغطي الارباح الخسائر وتفيض !

والزراعة مهنتنا الاساسية ، لم تبرح وسائلها عندنا كما كانت في ايام اسلافنا .. وكذلك اصنافها التي نزرعها اليوم وبالطرق القديمة ذاتها ، هي هي الاصناف التي عرفها اولئك الاسلاف منذ ثلاثة آلاف سنة . في حين يغزو اسواقنا كل جديد من مزروعات العالم المتمدن ، وازهاره المختارة ، وخضره وفواكهه الممتازة التي جودها المزارعون هناك بالاختيار والعناية ، واستنباط الوسائل والوسائط الملائمة !

اما نحن ، والمهندسون الزراعيون منا ، على الاخص ، فما برحنا نحفظ ما يقال في الكتب عن كيفية قطاف الزيتون مثلاً دون تكسير اغصانه ، وعما يحدثه المزارعون في البلاد الاخرى من عجائب لتطبيقهم قواعد العلم التجريبي ، ثم نقطف الزيتون ونكسر اغصانه . او نذيع الاحاديث الزراعية الجميلة من محطة الاذاعة !! وكفى الله المزارعين الجهود والمتاعب الاخرى !

وابناء المزارعين الذين تعلموا ويتعلمون : بعيداً عن بيئتهم جميع ما لا يفيدهم في حياتهم العملية ، قد انصرفوا عن الارض وهجروا القرى تاركين تلك « الام الرؤوم » الى حيث يتوفر لهم العمل السهل الهين ، سواء كان بالاستخدام او بالوظيفة !

ونحن جميعاً ندرك ، بل نتحسس ، ما ينشأ عن تلك الهجرة الخطرة من مآس وويلات وفوضى ، وانحلال خلقي وجرائم وامراض !

العلم طاقة

فلماذا لم يثمر فينا العلم الذي تعلمناه ثمراً يشبه ما اثمره ويثمره في سوانا من الامم والشعوب التي نهضت معنا ، او بعدنا ، وليس لها ما لنا من اصالة وماض عريق في الحضارة ؟

نحن نعلم ان المعرفة – وهي لباب الثقافة – قوة فاعلة ، تؤثر في الصخر فتفجر منه الماء ، وفي الفحم فتحوله الى .. زبدة ! فاين « العارفون » عندنا ، العاملون بما تعلموه ، يستفيدون ويفيدون من الماء الذي فجره الله في بلادنا ينابيع فياضة ، ومن اللبن .. الذي لم يسحب الباعة زبدته بكاملها ! بل اين العلماء المخترعون الذين يحولون « المعرفة » الى طاقة مولدة ؟

القيت هذا السؤال على صديق لي هو استاذ في احدى الجامعات .. فما وجد جواباً مقنعاً سوى التعليل بالزمن ، وبان النزعة الى الابتكار تأتي . فيما بعد . فقلت : يا صديقي ! اذا صح هذا القول على زنوج افريقيا .. وغيرهم من الشعوب « الجديدة » فلا يصح على شعوبنا العريقة ، ذات الملكات الاصيلة والاستعدادات التي صقلها الزمن ، منذ آلاف السنين ! الواقع ان ثمة نقصاً في نهضتنا الثقافية ، حال ويحول وسيحول دون نضجها .. وبالتالي اتيانها بالثمرات ، شأن كل نهضة سليمة !

نقص اساسي

فما هو هذا النقص ؟ هذا هو السؤال ! لماذا نجد حتى الطالب في المانيا مثلاً ، يستنبط كل جديد وهو على مقاعد الدرس ، ولا يخترع « العالم » عندنا شيئاً جديداً ولو سلخ عشرات السنين بعد حصوله على أعلى الشهادات ؟

تذكرون حضراتكم ان انهيار المانيا ، بعد الحرب العالمية الاولى ، كان انهياراً تاماً . حتى لقد اعتقد الرأي العام العالمي بانه لن تقوم لها قائمة بعد ذلك ! وفي الواقع سادتها الفوضى كما سادها الفقر والجوع والاجرام والانحلال الخلقي .. ومع ذلك كان « الولد » الفقير اليتيم من ابناء تلك الامة المتفسخة لا يني يفكر ، وهو يطلب العلم ويقوم في وقت واحد باعباء رب العيلة ثم يستنبط ويبتكر الوسائل الكفيلة باعالة امه واخوانه واخواته الصغار .

روي ان احد اولئك الصبيان الايتام قد ابتكر مهنة يعيش

واهله منها بدلا من اللجوء الى الشحاذة او الاجرام ، فاخذ يقشر البطاطا وهي رائجة في المانيا ، ثم يبيعها بزيادة ضئيلة على السعر . فكان لهذا الابتكار رواج منقطع النظير عند ربات البيوت الحريصات على اناقة ايديهن ، وجمال اناملهن ! ويقال ان ذلك الولد اليتيم قد اغتنى واغنى بيته الذي انقلب الى مصنع يعج بمقشري وبمقشرات البطاطا ، كل يوم !

ومثل آخر ذلك الطالب الانكليزي .. الذي لاحظ ان رفيقاته في المدرسة يتضايقن لتساقط « الدبابيس »عن شعورهن الملساء المسترسلة . ففكر في الامر وابتكر لهن«الدبوس المجعد» فكان له من ذلك الاختراع ربح وفير ، وكان ان فتح لبلاده افقاً جديداً في صناعة الدبابيس .!

اما نحن ، فانتم ادرى بما نحن عليه من عقم ، وعبودية فكرية ، وحب اعمى لتقليد الاغيار .. حتى لغتنا مثلاً ، واللغة مظهر للحياة الفكرية ، لا نعنى بتطويرها العناية الكافية لكي تساير النهضة العلمية والفنية والادبية . بل نحن على العكس نفسدها اذا تكلمنابها ، عامدين متعمدين . واذا احوجتنا الظروف لقحناها بما تيسر من كلمات اعجمية ، مؤثرين هذا الجهد اليسير على بذل المجهود العلمي لجعلها لغة حية حقاً ، تعيش معنا في المعهد ، وفي الشارع ، في المكتب وفي المصنع ، في الكتاب وفي الحياة !

اقول هذا ، لان اللغة ظرف لكل علم . فاذا لم يكن ذاك الظرف صالحاً ، فكيف يستوعب المظروف ، وكيف نستفيد منه ؟ لقد اورثنا الاقدمون لغة مرنة مطواعة قابلة الاشتقاق والتطور الى ابعد الحدود ، وادباً يفيض بالخير والجمال والخلق المتين . فماذا ترانا سنورث ابناءنا ؟ واي عذر سنتذرع به لديهم اذا اخذونا بتقصيرنا حتى في جعل لغتنا المكتوبة هي اللغة المحكية وكليهما في مستوى حياتنا وثقافتنا العامة ، وادبنا صورة عن تلك الحياة ؟

لماذا يخجل احدنا اذا لحن في اللغة الاجنبية التي يتعلمها، ولا يرى في « تكسير » لغته الاصلية اي حرج ؟ واين مثقفونا اليوم من مثقفي القرون الوسطى ، قرون النور في شرقنا المظلم اليوم ! مثقفونا اليوم ، على العموم ، يقضون اوقات فراغهم في الملاهي ، ودور القمار وما شابهها . اما مثقفو تلك القرون التي ينعتها الغربيون بالمظلمة — استناداً لما كانوا هم عليه — فكانوا يقيمون في كل بيت مجلساً او صالوناً ، وفي كل قصر منتدى للعلم وللأدب !

ويكفي ان نذكر مجلس الرشيد وابنه المأمون ، ومجالس من تلاهما من الخلفاء ، ثم مجالس الوزراء في كل من الممالك المستقلة التي نشأت في ظل الدولة العباسية ، فالفاطمية ، من بغداد حتى حلب غرباً ، ومنها الى الهند شرقاً ومصر جنوباً ! وقد جمع الاديب الكبير ابو حيان التوحيدي ما دار في بعضها من مناقشات ومناظرات وما استجد من افكار ، في كتاب ضخم دعاه « الامتاع والمؤانسة » . فهل « لمجالسنا » نحن اليوم ، نحن المثقفين ، ونحن في النصف الثاني من القرن العشرين ، عصر العلم والطاقة الذرية الهائلة ، من « حصيلة » ذات قيمة ، باستثناء القيل والقال ، و « توافه السياسة » المحلية ، والمماحكات الحزبية او احاديث الخلاعة والفسق والفجور ؟

واذا تركنا جانباً شؤون الفكر واللغة وما يتصل بها — مع ان الاصلاح في اللغة هو اساس كل اصلاح ، وبعث الفكر هو اصل كل بعث — ونزلنا الى واقع الحياة اليومية ، فاي عمل مفيد قمنا به ، بعد ان تزودنا بالعلم ، نستطيع ان نفاخر به اسلافنا أو ان يعتز به احفادنا؟ انشأ اجدادنا الاقربون هنا جمعية المقاصد الخيرية ومدارسها ، ورتبوا لها الاوقاف بمثابة موارد ثابتة — فهل اقمنا للنوابغ ما يرمز الى اعترافنا بجميلهم ، تخليداً لذكراهم او تشجيعاً للعاملين المخلصين على الاستمرار في التضحية؟

ونحن اذا عدنا الى ابعد من هذا التاريخ الحديث ، لرأينا النهضة العربية ، في صدر الاثمار ، تثمر بعد مدة قصيرة لا تتجاوز ما قضيناه منذ بداية نهضتنا الحاضرة . فقد كانت تلك النهضة قائمة على العلم والخلق ، على المعرفة والايمان ، بل على الايمان بالمعرفة التي تنقلب حينئذ الى طاقة محيية ، وعمل بناء خلاق . شأنها في ذلك شأن الطعام الذي تشتهيه النفس فنأكله ثم نمضغه ونهضمه ، فيتحول في الجسد لا الى دم محي فحسب ، بل الى حيوية وقوة وقدرة خلاقة .

وهذه امة اليابان في التاريخ المعاصر ، فتحت عينيها على النور المتدفق من الغرب . فما مضت خمس وعشرون سنة حتى هبت لتزاحم في كل صعيد اعظم امم الغرب صناعة ومهارة واختراعاً وابتكاراً ! بل هذه هي الولايات المتحدة الامريكية التي كانت منذ عهد قريب مجاهل وصحراوات ، وكانت شعوبها خليطاً من اللاجئين وفدوا اليها من كل واد وصقع ، انها انقلبت بين قرن وآخر الى امة تتربع فوق ذروة المدنية والحضارة

ذلك ان نهضة اليابان قد قامت على اسس متينة من العلم التجريبي والنظام والتنظيم ، والايمان بكيان الامة وشخصيتها المتميزة. والامريكان ، وان كانوا امة جديدة ، فهم مجموعة شعوب اصيلة تمازجت ، فكان نضج الحضارة عندهم سريعاً .

وهو الامر الذي كان يجب ان يكون عندنا ، ونحن لا نقل عن هؤلاء ولا عن هؤلاء اصالة وعراقة !

فما هو المانع ، بل ما هي الحلقة المفقودة التي تحدث هذا الفراغ في سيرنا الحضاري ، وتحدث هذه الازمات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في شعوبنا وفيما بيننا. فتبلبل امورنا، ونستمر في الدوران حول انفسنا كي ننتهي الى حيث بدأنا ، مثل ابريق الزيت ، في القصة المعروفة !

وهذه الظاهرة الخطيرة التي نتلمسها في الافراد والجماعات ، في جميع البلاد العربية ، والتي تتلخص في اننا نقول ، ولا نفعل هل هي مفتاح تلك الحلقة المفقودة ؟ فنحن نقول ولا نفعل ، حتى ليخيل الينا اننا مصابون بمرض الازدواج ،ازدواج الشخصية الذي ينتهي في مرحلته الاخيرة الى مرض الشيزوفرانيا العضال حتى « الاخوة » او التعاون الاخوي ، لا تعني في افواه الناس والكبار منا خاصة ، غير الخصام والعداوة على اتفه الامور والاسباب . واذا كان الاخوان دولتين شقيقتين كانت الاخوة بمعنى القطيعة .. والتعاون بمعنى الطعن في الظهر ! فما هو السر في ذلك ، وكيف السبيل الى الخلاص ؟

الثوب الملائم

العلم الذي اقتبسته اليابان حين نهضتها ، والامريكان في تطورهم ، كان ثوباً ملائماً لكل من هؤلاء وهؤلاء . ونحن حينما كنا شعوباً حية كانت اثوابنا في مختلف العصور ، ملائمة لابداننا. لذلك قامت عندنا ، في هذا الشرق اقدم الحضارات الخيرة ، وذلك بمساهمتنا الفعلية في العهود الفينيقية والفاوسية والبيزنطية والرومانية ، وبمشاركتنا التامة في العهد العربي الاسلامي !

ولم يكن في تلك المساهمة او المشاركة اي عجب. فنحن امة عريقة كما قلنا ، او امة وسط ، كان علينا واجب خطير ، نحو انفسنا ونحو العالم . فأديناه رسالات باقية في التجارة والصناعة وفي العلم والفكر . وكان علمنا اذ ذاك او ثقافتنا العامة ثوباً مبطناً بالخلق ، فكان علماً نافعاً وكانت ثقافة خيرة خلاقة . اما هذا العلم الاجوف ، هذه المحفوظات والثرثرات الكلامية ، التي نستظهرها ونكتفي بحفظها ، فانما هي التي اشقتنا واشقت بنا غيرنا . هذا العلم المقتصر على ما لقنونا من معلومات وما نقلوا الينا من نظريات ، انما هو ثوب ظاهره حرير ، وباطنه شوك .. ومادية تجارية وعبودية ابدية .

تلك المادية العمياء التي طغت على القيم والمثل العليا عندنا ، فخنقت روحيتنا المخصبة ، دون ان نستبدل بها ، كسوانا ، نظاماً يستمسك به المجتمع ، او تنظيماً يسوس الافراد ، شأن الغراب الابله الذي قلد مشية الحجل في الاسطورة . فصرنا عبيداً كالانسان الآلي ، لا تحرك الا بباعث خارجي او لمنفعة خاصة ، وعدنا ذئاباً يعدو بعضنا على بعض ،دون وازع او رادع!

برنامج الغد

لا بد انكم تتساءلون الآن عما يجدر بنا عمله بعد ان صرنا الى هذه الحال التي تعم الشكوى منها ، في كل صعيد ، فكرياً كان او اقتصادياً أو اجتماعياً. لقد قلنا مراراً و كتبنا ذلك تكراراً بان الارادة في تحويلنا عن سبيلنا الطبيعي ،او الاصطناع الذي نتكلفه كي نكون غير انفسنا ، هو اساس العلل التي نشكو منها جميعاً .

ففي صعيد الثقافة نحن بحاجة الى علم تجريبي يستمر به تقليد امتنا في الزراعة والصناعة والتجارة التي ازدهرت عندنا منذ فجر التاريخ ، فوفرت لنا اسباب الحياة والتقدم والعمران ، كما مكنتنا من المساهمة في اقامة صرح الحضارة العالمية .

وبتعبير آخر نحن بحاجة الى ثقافة علمية تحملنا على العمل والانتاج والانشاء والخلق لا الى ما نحن بسبيله من ثقافة « كلامية » اضعنا في طلبها حيوات ابنائنا منذ اجيال ، دون ان تثمر فيهم سوى ثمرات عجاف ، تعيش على الجدل، وتميت روح الشعب ، وتقضي على الحس الاجتماعي !

نحن بحاجة الى ثقافة علمية تستبطن الخلق كما تستبطن «طرة» القرش « نقشته » . فوجه للعلم وآخر للخلق ، اذ لا خير في عالم لا اخلاق له ! ولا ننس اننا نعيش في الشرق ، مهبط الاديان . فنحن مؤهلون منذ اضطلعنا بتبليغ الرسالات السماوية ، لان نؤدي للمجتمع رسالة مستمرة ، تستمد عناصرها من روح الخير والحب والاخوة الانسانية الشاملة . وما حرصنا على سلامة تلك الرسالات واستمرارها الا رسالة خاصة، بحد ذاته، فكيف يريدون من شعب او شعوب اعدتها البيئة لمثل هذه الرسالة الخطيرة ان تتحول عنها ، دون ان يختل التوازن في مجتمعها ؟

اذكر انني صحبت رفيقاً لي من منطقة كسروان سنة ١٩٢٨ ،

في رحلة استكشافية الى هذه الجبال البديعة ، وصادف ان ركبت في السيارة معنا فتاة اجنبية ، فلما استأنست بحديث رفيقي الذي كان يدلني على روائع الطبيعة ويذكر لي اسماء القرى والمؤسسات التي مررنا بها ، بلغة فيها الكثير من الكلمات الاجنبية — تدخلت تلك الفتاة بالحديث ، وكانت على جانب من الظرف والجمال والثقافة ، فقالت لرفيقي الذي كان يفاخر بما وصلت اليه بعض « الاوساط » من « تفرنج » :

— تطوروا ما شئتم . . ولكن ابقوا شرقيين ! فقد احببناكم لانكم شرقيون ، لا لانكم نسخة مشوهة عنا . . نحن الاوربيين !

اذكر هذا لا كي ادعو الى « رجعة » عما نحن بسبيله من اسباب المدنية والحضارة . فقد كنت ولم ازل من القائلين بأن علينا ان نتلقى « النور » من حيث جاء . وقد كان هذا النور شرقياً في زمن — وهو « غربي » في هذا الزمان . فما علينا اذا نحن « استنرنا » به اليوم كما استنار سوانا « بنورنا » فيما مضى . اقول « استنرنا » اي اننا فتحنا حيث نحن النوافذ والابواب للنور الدافق ، ولا اقول « استحلنا » الى هباء منثور ، تحت اشعة ذلك النور ! المهم ان تبقى لنا شخصيتنا و كياننا . فنجعل كل علم من مقومات تلك الشخصية ، ونجعل كل معرفة من معطيات ذلك الكيان . وحينئذ نستمر في الحياة، او يدوم لنا وجود بقدر ما يستمر وجود المخلوقات الفانية !

ونحن اذا استعرضنا بعض « النماذج » الحية لمثقفينا ، وما هم عليه ، امكننا توضيح المقصود . وانني مقتصر على ثلاثة امثلة تتناول المربي والطبيب ورجل القلم . . لما لكل من هؤلاء من اثر عظيم في المجتمع ، بما يؤديه من رسالة خطيرة .

فالمربي عندنا — المعلم كما يدعونه حتى الآن ، او الاستاذ ، رجل مثقف على العموم اختار هذه « المهنة » ليعيش . وقد اعتدنا ان نكرمه بترديد بيت من الشعر ، لشوقي رحمه الله ، يقول فيه :

قم للمعلم وفه التبجيلا ... كاد المعلم ان يكون رسولا !

ثم نكتفي بذلك القول الجميل . ولكنه هو لا يكفيه ذلك فليس بالكلام وحده ، يحيى الانسان ! ولا سيما من كان كالمربي انساناً مرهف الحس ، واسع الافاق شامل المعرفة . واعني المربي الموهوب الذي يستحق اللقب الشريف . فهل نعجب بعد هذا اذا اعطانا « المربون » بما نعطيهم ، فبادلونا كلاماً بكلام ، واهمالاً باهمال ؟ فصار التعليم تجارة ، والتربية اعداداً لنيل الشهادات وسباقاً في سبيل الرتب والالقاب ؟

ونحن في هذه الناحية سائرون من سيء الى اسوأ . فقد كانت مدارسنا منذ ربع قرن اعلى مستوى منها اليوم . وكان طلابها وخريجوها ، على مختلف الدرجات ، اعمق ثقافة واكمل وعياً ولسنا هنا بسبيل تشخيص الداء ووصف الدواء . فلذلك مجال آخر . ولكننا نرى ان اعداد المربين الصالحين للبيئات التي يعملون فيها ، على ضوء متطلبات تلك البيئات ، كفيل بالحيلولة دون ما هو اشد سوءاً ايضاً ! ولا ننس ما قاله الشاعر القديم :

ان المعلم والطبيب ، كلاهما ... لا يخلصان اذا هما لم يكرما !

وانتم ادرى بما يتوجب لاكرام رجل رسالة وفكر مثل المربي ، دون تقتير او تقنين . ففي ذلك ، الخطوة الاولى نحو اصلاح المدرسة ، وبالتالي اصلاح العيلة ، ومن بعد اصلاح المجتمع وسائر ما يتصل به من اقتصاد وادارة وقضاء وسياسة . وليس ببعيد ذلك اليوم الذي سيصبح فيه للمربي عندنا مثلما للقاضي — على الاقل — من حرمات وامتيازات .

اما الطبيب فمهمته شبيهة بمهمة المربي . هذا يسهر على اعداد الارواح والنفوس وتوجيه العقول والقلوب ، وذاك يسهر على سلامة الابدان وبالتالي سلامة القلوب والعقول . فالعقل الصحيح في الجسم الصحيح . وقد يكون الطب النظري الذي تقتصر ثقافة اكثر اطبائنا عليه هو عندي الاساس لكل شكوى وتذمر في هذه الناحية . وقد قال لي احدهم : لن يصبح احدنا « طبيباً » قبل ان « يمارس » مهنته مدة اقلها عشر سنوات !

ثم هذه الكثرة التي لا اختصاص لها من الاطباء الذين تخرجهم جامعتان ، فضلاً عن الذين يدرسون في الخارج ، هل استطاعت ان تحول دون انتشار الامراض والاوبئة ، او ان تعمل على اكتشاف دواء واحد شاف ، على الاقل ؟ ثم اليس من سبيل للحيلولة دون تجمع الاطباء في العاصمة ، بحيث يزيدها ذلك تخمة واختناقاً ، في حين تموت سائر المدن الاخرى في عزلتها القاسية ؟ اليس من « الانسانية » ان ينير كل طبيب زاويته ، ويداوي او يسهر على صحة ابناء قريته ؟ ولو تحمل معهم ، في سبيل اداء رسالته هذه ، اقسى انواع الحرمان ؟

وثالث الثلاثة هو رجل القلم ، شاعراً كان او ناثراً ، اديباً او محامياً او صحفياً ، فما هي الرسالة او الرسالات التي يؤديها من يحملون هذه الالقاب عندنا ، هم واتباعهم واتباع اتباعهم ،

— البقية في صفحة ٧٥ —

بيتنا المهد

من كتاب شعر جديد يصدر قريباً تحت عنوان « اكثر من قلب واحد »

✻

يا بيتنا.. ودربه الصغير..حلوٌ.. حرجُ
شبّاكهُ يُطلّ مثــل طفلةٍ تبرّج
وإخوتي أمامه صيــاحهم مؤجّج
أسماؤهم على الجدار .. ذكرياتٌ تلهج
وأمّنــا جالسةٌ تصرخ ثمّ تنسج
أحبّه .. فُسحته وبابــه .. والدّرَج
يضحك لي كأنّمــا جدرانه تختلج
أحبُّ فيه عبقَ الطعام وهو ينضج
فانْ يضلّ الناس عنه دلّ هذا الأرج
كأنّما دخانــه يُوحي لهم أن يلجوا

✲

يا بيتنا .. وذكرياتي فيه حلمٌ مُبهج
فيه أرى نفسي على البلاط طفلاً يدرج
تلفّه جنينــةٌ صغــيرةٌ تأرّج
الياسمين حولها معرّشٌ .. مُسيّج
وأرضُها الريحان والمنثور .. والبنفسج
طفولتي..والخفقة الاولى،وحُبي الاهوج
ونزَقُ الشباب إذ يهفو، وطيفي يُدلج

✲

من وطني لي بقعةٌ تبسمُ لي وتهزج
أرى عيون الغول مِنْ ورائها توَهّج
وألمح السماء مثـل جـذوةٍ تأجّج
وصورةً لميّتٍ في بيتنــا يحشرج
وفي العراء آخر في دمه مُضرَّج
والذعرَ في عين أبي مروّعاً يعتلج
يراقبُ الأطفـال وهو صامتٌ مختلج
يا بيتنا .. ماذا يضير الناس إنْ يبتهجوا
ويطردوا الخوف فلا رعبٌ ولا تحرّج
وتأمنِ الأمّ على أطفالهـا فتخرج
سماؤهــا أجنحةٌ طليقــةٌ تموّج
ودربها عشبٌ طريٌ وسلامٌ أبلج

✲

يا بيتنا..والليل مِنْ حولك حُلمٌ مزعج
أخشى على المنثور أن يذوي فيطغى العوسج
وينطفي صوت الصغار غير طفلٍ ينشج
وشَبَحي أنا هناك واقفٌ مُثلّج
وفوق خدّي دمعة محرقةٌ تدحرج

دمشق — **شوقي بغدادي**

من رابطة الكتاب العرب

مصرع العبيط

بقلم ابراهيم شكر الله

كان هذا في صيف عام ١٩٤٣ ، والحرب العالمية على اشد اوارها ، ورائحة البارود والعفن تملأ كل ما نقرأ وما يبلغنا من اخبار. على اني كنت اذا ما انتهيت من يومي المدرسي في كلية الطب وأبت الى حيث اسكن في حارة سقايات الخليفة بحي فم الخليج احسست كأنما قد دخلت عالماً آخر لم تنل منه هذه الحرب المستعرة ولم تبلغه. وليس معنى هذا اننا لم نكن نتناول الحرب في احاديثنا ، بل لعلنا كنا نكثر من هذا وخاصة حين نجلس الى بعضنا في القهوة عند الغروب وقد خفتت الحركة في الحارة وبدأ النسيم البحري في الهبوب ، وسقى حرنكش ، صبي القهوة الرصيف بالماء فهبط الغبار وصفا الجو .

غير ان الحرب هنا كانت اكثر بطولية واستثارة للخيال والهاباً للمشاعر ، وذلك لما كان يضفى عليها من اساطير وقصص وما يروى في شأنها من احاديث ومناقضات تدور بين ستالين وهتلر وقد صيغت في الفاظ الملحمة الهلالية . وكنا لا نسمع ذكر الغرفة رقم ١٣ التي قال راوية عيان ان هتلر اشار اليها وقال مخاطباً تشرشل : «لو فتحتها لانفتح للموت باب لا يغلق حتى يأتي على العالم والخلق» - كنا لا نسمع ذكر هذا حتى نحس بقشعريرة عذبة تجري فينا ثم يخيم علينا صمت صاف طويل .

على ان هذا لم يظل طويلاً فلم نلبث حيناً حتى احسسنا بالحرب تبلغ حارتنا على نحو قاس وتترك بعض آثارها المدمرة في حياتنا . وقد كان بعض هذه الآثار مزلزلاً عنيفاً . فقد اختفت زنوبة القرعة فجأة ذات يوم من ايام ذلك الصيف المشؤوم . اختفت واختفى معا جانب من حياتنا وباب من ابواب احاديثنا التي لا تفرغ .

فقد كانت زنوبة اجمل فتيات الحارة جميعاً . وكانت صاحبة فن في لف نفسها بالملاءة بحيث تظهر ثنيات جسمها اللدن . وكان شجارها الدائم مع حسنين الساعي بوزارة الاشغال مصدر تسلية لنا وتزجية للفراغ . وحين ظهرت زنوبة في الحارة ثانية كانت قد خلعت ملاءتها واستبدلت بها الملابس الاوروبية الغالية . وكان شعرها الذي كانت ترسله في ضفيرة واحدة تبلغ حتى نهاية خصرها قد قص وقصع ورفع الى أعلى جبهتها وقد توجت مقدمته رأسها في شكل هلال كث . وكان الكحل قد اختفى من عينيها الواسعتين وبان بدلاً منه لون ازرق خفيف يكسو الجفنين . وكانت - حين رأيتها - مستندة الى سيارة صغيرة انيقة ، وقد وقف امامها حسنين زوجها وهي تنهال عليه بالسباب والشتائم كما كان دأبها قديماً . وكان حسنين قد تغير ايضاً ففقد اناقته التي كان يبذل في سبيلها كثيراً من الجهد والمال واكتسى وجهه بمسحة من الهم والمذلة .

وكان من اثار الحرب في حارتنا ايضاً ما اصابه المعلم زاهر القصاب من غنى مفاجىء تضاربت في تقديره الروايات وان كان لم يُخفِ أمره ولم يسع هو الى اخفائه فسرعان ما اشترى فيتون يجره جواد ابيض مطهم ، كما تزوج ثانية من امرأة غريبة عن حارتنا ، لم تظهر بيننا حتى اثارت الفتنة والاعجاب فقد كانت امرأة بضة حسناء شديدة الثقة بجمالها وبتدله زوجها بها .

على اني ساظل اذكر دائماً قصة اختفاء العبيط وما صحبها من حوادث جسام . وانا ، ان كنت اعرف ان مثل هذه الحادثة قد تحدث دائماً ، الا اني لا استطيع ان ارد نفسي عن الظن انها بعض الاثم الذي اتت به الحرب الى حارتنا الصغيرة المجهولة .

كان العبيط ، رغم أُلفته الطويلة لحارتنا ، شخصية غامضة تكثر حولها الاقاويل . فلم يكن احد يعرف أي بيوت الحارة يسكن على وجه التحقيق ، كما كنا نجهل جهلاً تاماً ما يفعله لاكتساب رزقه . الا اننا كنا - اذا ما التأم شملنا في القهوة في المساء - لا نفتقده حتى نراه متكئاً الى «بنك» ماركو



الرومي وقد انحنى بوجهه المستدير السمين الخالي من التعابير على كأس من الخمر الرخيصة . وكنا نستدعيه احياناً لنتندر عليه ولكننا كنا لا نتركه حتى نسأله الدعوات فقد كان ، في رأي الجميع ، رجلاً قريباً الى الله ، غريباً — لانطفاء جذوة العقل في رأسه — عن الاثم ، مستجاب الدعوات .

وكان من القليل الذي نعرفه عن العبيط امر غرامه بحنكوشة التي كانت تسكن آخر الحارة عند طرف الخرابة في حجرة صغيرة مع امها العجوز . وكنا نسعى دائماً لتجنبها خشية سلاطة لسانها وخوفاً من بطش علي الشيخ ، فتوة الحارة وتاجر المخدرات ، الذي كان يضفي عليها حمايته وظل قوته وسلطانه .

وكان اكثر ما يدهشنا في امر غرام العبيط هو سكوت الشيخ عليه وقبوله له ، رغم ما كان يندفع اليه العبيط احياناً من جرأة وغزل قبيح كان لا يتحرج من ان يقوم به امامنا . وان كانت حنكوشة لا تني عن رده في سخرية وازدراء .

وقد ظلت حياة العبيط على هذا النحو عهداً طويلاً حتى استقرت في اذهاننا كصورة قائمة لا تتغير ، كأنما هي صورة من الصور العديدة التي صنعت منها مادة حارتنا . وشأنها في هذا شأن الخرابة الواسعة التي كانت تنحدر في نهاية الحارة وتظلم اظلاماً موحشاً بالليل حتى تصير مقراً للارواح الهائمة والقطط الآدمية ، وشأن النخلتان المتعانقتان اللتان كانتا كل ما في حارتنا من خضرة يفيء اليها باعة الخضر في الصباح وباعة الذرة المشوية والبطاطا في العصر .

بيد ان كل هذا لم يلبث ان تغير تغيراً سريعاً غريباً . فقد كنا جالسين كعادتنا في القهوة في امسية احدى الليالي حينما ترامت الينا الانباء تقول ان العبيط قد شوهد ذلك اليوم وهو يحمل اوراقاً مالية اختلفت في عددها الروايات وان كانت قد اجمعت على انها كانت جميعاً من الاوراق الضخمة « ام مدنة » ولم يستطع احد ان يفسر على نحو واضح كيف اصاب العبيط هذه الثروة وان كان الظن انها جاءته من طريق يتصل بما كان يعقد اذ ذاك من صفقات غير مشروعة وتجارة في السوق السوداء .

وقد افتقدنا العبيط في الخمارة وفي اماكن اخرى من الحارة فلم نجده . على اننا لم نلبث طويلاً حتى شاهدناه مقبلاً من بعيد وهو يعدو على غير عادته . ولم يقترب حتى شاهدنا وجهه المسيح الابله محتقناً بالدماء واللعاب يسيل من فمه وشاهدنا كلتا يديه مطبقتين في شدة وعنف — كدنا ان نحسبها — على اوراق مالية عديدة . ثم شاهدنا حنكوشة وقد ارتدت قميصاً احمرَ زاهياً تحت ثوبها الاسود الخفيف وزججت حاجبيها بالكحل ولطخت وجنتيها بالاحمر الفاقع . وكانت تعدو هي الاخرى وهي تلهث من الاعياء ويتصاعد منها سعال متقطع . وما اقتربت منا حتى توقفت عن العدو برهة لترى — اكبر الظن — اذا كان العبيط سيقف امام الخمارة كما هو دائبه . ولكنه انطلق لا يلوي على شيء وجسمه السمين يرتج وقدميه تدبان على الارض في عنف ورأسه منحنية الى الارض وقد ارتسم على وجهه تعبير قوي من التصميم .

حينذاك شرعت حنكوشة تدعوه بصوتها المبحوح وقد ارتسم على وجهها الاسمر المشقق تعبير صارم حار من الرغبة الملحة الهائلة :

— تعالَ يا عبيط .. تعالَ يا خويا ، انت رايح فين بس ..

ثم استمرت بصوت امتزج برقة مصطنعة :

— انت مش عارفني يا عبيط .. انا مش عيوشه حبيبتك ، انت يعني نسيتني خلاص يا عبيط ، تعـــالَ يا خويا بس وانا

ابسطك واهيئك واديلك كل اللي نفسك فيه ..

ويخفف العبيط من خطواته ، ويعلو وجه حنكوشة اشراقة ذاهلة من الامل . ولكن فمه المطبق ينفرج عن ابتسامة بلهاء لا معنى لها ، ثم يأخذ في العدو من جديد . فتعدو حنكوشة خلفه وصوتها يتعالى بالنداء المستعطف الذليل الذي يصطنع الاغراء حتى اختفيا في منعطف الحارة .

وقد ظللنا تلك الامسية لا نتكلم الا لماماً وقد غشانا صمت قلق . ولم يشر احد الى هذه الحادثة غير حرنكش الذي تمتم غاضباً من شفتيه المزمومتين من الغضب وهو يصفف الطاولات في عنف : « بت الكلب عاوزة القرشين اللي ربنا حنّن بيهم عليه . يعني دلوقتي اللي حلي في عينك يا بت الكلب » .

وظللنا بعد هذا اياماً لا نرى العبيط ولا نعرف ما تم في تلك المطاردة . وكنا لا ننى نسأل عنه فلا نصيب جواباً . وحتى حنكوشة كنا لا نراها الا لماماً وكانت تبدو في تلك المرات القليلة صامتة وقد امتزج في وجهها تعبير غريب من القسوة والجزع وما يشبه الحزن الدفين .

على ان نهاية امر العبيط لم تلبث ان تكشفت . فقد راعنا يوماً رؤية الشرطة في حارتنا يبحثون ويتقصون وعلمنا منهم ـ وقد غمرنا الذهول ـ ان جثة العبيط قد عثر عليها في الخرابة وانه لقي حتفه مخنوقاً . ثم لم تلبث ان تواترت الروايات تجمع على ان القاتل هو علي الشيخ وان الدافع كان المال الذي جاء به العبيط .

وقد كثرت رؤيتنا للشيخ بعد هذا فكان دائم الصخب عالي الضحكات ، يكثر الكلام مع سكان الحارة مستجدياً ودهم الضنين رغم خشيتهم اياه ، اذ ان احساساً غامضاً احتوانا جميعاً . ان مقتل العبيط ليس سوى نذير شر مستطير سيحل بنا وبحارتنا .

ولم نلبث ان رأينا الشيخ يكثر من شرب الخمر الرخيصة عند ماركو الذي كان يحيا الان في فزع دائم منه ويسعى الى استرضائه دون جدوى فقد كان الشيخ لا يبلغ الكأس الخامسة حتى تأخذه العربدة فيشرع في تحطيم الكؤوس وزجاجات الخمر .

وكان مما راعنا ايضاً في هذا الانقلاب الذي الم بالشيخ انصرافه عن حنكوشه واجتنابه لها ما وسعه هذا . فاذا لم يستطع خاطبها في احترام وبصوت هادىء مطلقاً عليها اسم عيوشة بدلاً من اسمها القبيح .

وفي ذات مساء قسا فيه الحر واشتدت لفحات الشمس ونحن جلوس في القهوة اقبل الشيخ نحونا يترنح من السكر وما انتصف المقاعد حتى اخذ يلوح بعصاه الغليظة وهو يقول :

ـ مين ابن الكلب المرة اللي يقدر يقول ان العبيط ما كانش ولي وله كرامات ..

فعلانا وجوم ودهشة لهذا التحدي الغريب . ولم يجب احد منا . فعاد الى التلويح بعصاه وهو يصرخ :

ـ العبيط كان ولي الحتة وكان عاشق المرة عيوشة والـلي حيبصلها والا يقرب منها انا لازم اجيبه الارض .. عيوشة بتاعة العبيط بس ..

وبعد مضي ايام قليلة على هذا المشهد العجيب سافرت لبلدتي لقضاء العطلة الصيفية . وحينما عدت كان طول ادمان الخمر قد احال الشيخ مخلوقاً ضعيفاً متهالكاً ذليلا ولم يكن ماركو يجد الان عناءً في استخلاص ثمن ما يشربه منه ، بل انه كان كثيراً ما يرده في عنف وقسوة . اما حنكوشة فقد شاهدتها جالسة الى الارض تشوي الذرة وتبيعها ، وكان وجهها قد اشتد سمرة ونحولاً وغاضت عيناها الضيقتان واختفى منهما الكحل وبدتا مثل عيني حيوان صغير اعيته المطاردة . وكانت اذا اقبلت الظلمة حملت حوائجها ومضت بطيئة وقد انحنى رأسها الى الامام مثلما كان يفعل العبيط حتى تبلغ بيتها في آخر الحارة على اطراف الخرابة .

القاهرة

ابراهيم شكر الله

خداع

الى « د »

✳

ومن خلالْ
عطش الرمال الى المياه
كانت تلوح لنا الحياه
اطياف آل
فنظل نغرق في الضلال
الدرب يبدو كما نراه
عطشي مميتْ ، والدرب يبدو كما نراه
تعبي مقيتْ ، والدرب يبدو كما نراه
ماذا وراه .. ؟
هذا التلفت للحياه .. ماذا وراه .. ؟

✳

ها انتِ انتِ ولستِ انتِ
دنياكِ بعض دجى وصمتِ ...
هذا الدجى ماذا وراه .. ؟
ماذا وراه .. ؟
انظل نغرق في الضلالْ
ومن خلالْ
عطش الرمال الى المياه
اتظل تخدعنـــا الحياه

بغداد — بلند الحيدري

ازمة البطل في القصة الحديثة

بقلم محمود السمرة

°°°

ان الجدل الادبي* يشتد في ايامنا هذه حول الفنون الادبية وماهيتها . ونحن ، في ايطاليا ، لا نزال نذكر دعوة النظام الفاشستي الملحة للأدباء ، الى ان يصوروا في ادبهم ابطالاً مثاليين فعالين . ويقابل هذه الدعوة في الطرف الآخر ما يقوله مفكرو الكنيسة الكاثوليكية من ان الادب الحديث لا يستطيع الا ان يكون منحلاً لأنه ادب انتجته الازمات . ومدار الجدل دائماً يدور حول بطل القصة. هذا البطل الذي لم يترك الادباء الغابرون صفة من صفات الكمال الا واسبغوها عليه ؛ فهل في ادبنا المعاصر بطل من هؤلاء ؟

اننا اذا فكرنا في ما يعرض علينا من افلام ، فان الجواب عندها يكون بالايجاب . فالفيلم يختار بطله من اية طبقة اجتماعية كانت ، ثم يضخمه ويجعله يسلك مسلكاً مثالياً نبيلاً سواء في انتصاره او انخذاله ، بعد ان يتعرض لانواع عديدة من المشاكل والعقبات ، وهذا البطل شاب جميل جذاب اعزب غالباً . هكذا يبدأ بطل الفيلم ، ولا مانع من ان يتزوج ولكن في نهاية الفيلم وان يكبر ولكن مع عرض الفيلم . وكون البطل متصفاً بما سبق يعني ان جميع الابواب مفتحة امامه ، والحظ يسير في ركابه والفتيات يتسابقن الى هواه .

وقد اخذت هذه الافلام مكان القصص الغرامية العنيفة التي كانت شائعة في القرن الماضي ، ومكان حكايات الفرسان في القرون الوسطى . فهي ترضي المشاهد العادي ، وذلك بأثارة اعجابه بنقله الى عالم مثالي يفتقده في الواقع فلا يجده . فالفيلم اذن يهدف الى الهروب من واقع الحياة اليومية ، ليقدم لنا بطلاً يقوم باعمال نؤمن اننا لا نستطيع القيام بمثلها ؛ فهو لا يخاطبنا بما فينا ، بل بما نود ان نكون عليه . وعندما تأخذ السينما قصة لاخراجها ، فانها تحوّر فيها كما تشاء الى ان تحشرها في القالب السابق .

ولقد ركد في اوروبا سوق القصص الجادة المعنية بواقع الانسان ، على اثر الازمة الاقتصادية التي حلّت بالطبقة المتوسطة المثقفة ، كما زاد الاقبال على الافلام التي يؤمها اولئك المشاهدون اليائسون الهاربون من واقعهم ، لمشاهدة حياة تصور لهم ما يحلمون به . حتى النساء يهرعن الى هذه الافلام ليشاهدن الممثلات المتجملات بما يحلمن به من ثياب وحلي .. إن كل واحدة منهن فينوس جديدة تبهر ابصارهن . فلا عجب اذن اذا رأينا الافلام التي تصور حياتنا اليومية على حقيقتها تحظى بعدد من النظارة اقل .

وهناك سبب آخر لنجاح السينما يعود الى انها تهدف الى غاية عملية في نظر الناس ، وان كانت بعيدة عن التحقيق : فالفيلم يعرض على المشاهدين احسن انواع السلوك ، واحدث الآداب العامة ، واجمل الملابس ، وخير طرق التجميل . وفي الادب ايضاً ما يهدف الى هذا ولو بحثنا عن سر النجاح الهائل الذي تناله قصة ما ، لوجدنا ان اهم سبب لذلك هو أن جزءاً كبيراً منها يصور ما تصوره هذه الافلام : مثالية في المسلك ، ومثالية في الملبس ، ومثالية في الجمال . وهنا نجد الشبه الكبير بين مشاهدي هذا النوع من الافلام ، وقارئي هذا النوع من القصص ؛ وبين اولئك الذين كانوا يعجبون اشد العجب بحكايات الفرسان في

* بتصرف عن Corrado Alvaro : « The Hero In Crisis »
[كورادو ألفارو الكاتب الايطالي الشهير المعاصر ، من مواليد سان لوكار – كلبريا ، وخريج جامعة ميلانو يعيش الان في روما مكرساً وقته للكتابة. له اكثر من عشر قصص طويلة ، وثلاثة مجلدات ضخمة من القصص القصيرة ، ومجموعة مقالات في النقد ، وقد شاهدنا له على الشاشة « الرز المر »]

القرون الوسطى : كل منهم يهدف الى نفس الغـايـة ، فبطولة لا تقهر وجمال يبهر ، وحياة بهيجة ممتعة تنقذهم من واقعهم المرير .

واذا انتقلنا الى بحث شخصية البطل في القصة المعاصرة، فعلينا ان نميز بين ما يمكن ان نسميهم « ادباء القصور » وبين « الادباء الواقعيين » . اما الفريق الثاني فهم في غير حاجة الى شرح . واما الفريق الاول فقد يكون من العجيب ان نسميهم بهذا الاسم ، وخاصة بالنسبة للنقد الحديث . ولكن مما لا شك فيه ان كتاب القصور المعاصرين هؤلاء الذين يصورون في كتاباتهم ما نراه في الافلام من مثالية ، لا يختلفون في كثير عن كتاب القصور في العصور الوسطى وما تلاها من عصور . وليس كتاب الدرجة الثانية هؤلاء هم الذين شغلوا انفسهم بتصوير هذه الحياة المثالية ، بل ان بعض هزليات شكسبير التي كتبها في فجر حياته ، والتي كسبت له شهرة عظيمة عند معاصريه ، ليست في اكثرها الا تصويراً لحياة البلاط المترفة ، تلك الحياة الخلية البال من كل المشاكل . وهنا لا بد لنا من ان نعترف بأنه في كل العصور كان مثل هذا النوع من الادب هو اكثر الاداب رواجاً عند جمهرة الناس : انه ادب ابطاله في احسن الظروف التي تهيئهم للنجاح ، يحيون حياة عاطفية شائقة ، واذا كانوا ضحايا هذه الحياة العاطفية ، فان سقوطهم لا بد وان يكون رائعاً معجباً كذلك : انهم دائماً محظوظون ، ودائماً منتصرون حتى في الهزيمة ، انهم ابطال لا وجود لهم في حياتنا ، ولكنهم ينقلون المشاهد او القارىء الى ذاك العالم المثالي الذي يحلم به . ولذا فلا نجد انفسنا مخطئين إن دعوناهم « ادباء القصور » ما داموا يسيرون على نهج مغني القصور الغابرين والتروبادور ، وكاتبي القصص الغرامية المثالية الذين راج ادبهم منذ العصور الوسطى حتى فجر القصة الحديثة في ادبنا .

وقد ولد ادب القصور في ظل الازمات الاجتماعية . ولكنه بدلاً من ان يصور الانسان المكافح للتغلب على محيطه ، هرب من هذا الى تصوير الانسان المسير لقدره ، محققاً في الخيال ما عجز عنه الانسان . وقد انتعش هذا الادب في العصور الوسطى عندما كان الانسان ترجفه مخاوف الحروب والغزوات الماحقة التي أقضت مضجع الانسان القديم ، فوجد نفسه وقد هجره الجميع الا الله ومليكه . عندها وجد هذا الانسان ، الخائف القلق على مصيره ، التسرية في قصص الابطال المثاليين : الفارس المثالي ، والمحب المثالي ، والمرأة المثالية .

وفي هذه الفترة من الزمن ايضاً ازدهرت حكايات القديسين الذين هم ابطال مثاليون في نقائهم وطهارتهم واخلاصهم ؛ وهنا ايضاً عمت فكرة السلطة المطلقة ، وفكرة المرأة الملائكية الطاهرة التي شقت طريقها عبر العصور الى يومنا هذا .

ورغم ان جميع الظروف البيئية قد تغيرت في عصرنا عما كانت عليه في العصور الوسطى ، الا ان البطل في مثل هذا النوع من الادب لا يزال هو ذاك الفارس الذي يجوب الآفاق، ويتعرض للمخاطر ويذلل الصعاب، مصوباً الخطأ، وذائداً عن الحق والفضيلة . ولذا طبع هذا الادب بطابع اخلاقي غاية في المثالية سواء في النصر او الهزيمة . وبنظرة على المحرمات والرذائل التي يزخر بها هذا النوع من الادب ، نرى القانون الاخلاقي الصارم الذي فرض نفسه عليه . وإن شعورنا ، نحن رجال الادب الذين نحـترم انسانيتنا ، هو الاشمئزاز والنفور من مثل هذا الادب .

اما الادب القديم السابق للمسيحية فلم يعرف ادب القصور الا في بعض القصائد القليلة . وقد كان ادباء تلك الفترة يختارون ابطالهم ، في الغالب ، غير اسوياء ، فتحل بالبطل ضربة القدر نتيجة لسوء مسلكه ، فيدفع ثمن هذا عقاباً يحل به ، ليطهر نفسه مما اقترف من إثم . هذا البطل القديم هو الذي شاع في الادب

الاسباني، فهو بطل لا يسير الحظ في ركابه دائماً ، بل قد يكون عرضة للنقد والتجريح . وهو البطل الذي شاع في الاشعار الايطالية مثل « اورلندو » واخيراً نرى هذا البطل في « دون كيشوت » .

واذا انتقلنا الى النوع الثاني من الكتاب الذين دعوناهم (الواقعيين)، والذين اخترنا ان نسميهم في ادبنا الحديث بالمجددين رأينا ان همهم هو دراسة واقع النفس الانسانية ، ولهذا فهم لا يقدّمون لنا في كتاباتهم ، عالماً لذيذاً مخدراً، كعالم اولئك. والكاتب الواقعي مؤمن بمجتمعه وإنسانيته ، يقابل ازمات عصره بجرأة وشجاعة وواقعية ، سواء كانت الازمة ازمة الامبراطورية الرومانية او العصور الوسطى او عصر النهضة الذي انجب «بوكاشيو»، وسواء كانت ازمة المجتمع البورجوازي حوالى سنة ١٨٧٠ في اوروبا وروسيا التي انجبت « فلوبير » و« دوستويفسكي » او ازمة المجتمع الاوروبي او الامريكي بين الحربين العالميتين الاخيرتين . في مثل هذه الازمات يخلق الادباء المتفاعلون مع مجتمعهم ، والذين آخر ما يفكرون به هو ان يصرفوا هذا الانسان عن مجابهة مشاكله .

وكتابات هؤلاء الكتاب مرآة تنعكس عليها مجتمعاتهم ، فنرى بوضوح فترة من فترات المجتمع الامريكي حية في كتابات «هوثرن» وفولكنر ؛ كما نرى المجتمع الفرنسي في ادب «بلزاك» و« ستندهال » ، والمجتمع الانجليزي في ادب «توماس هاردي» و« لورنس » ، والمجتمع الروسي في كتابات « دوستويفسكي » و« تشيخوف » ، والمجتمع الايطالي في كتابات « فيرجا » و« بيرانديللو » وو ... ان ادب هؤلاء الخالدين يعرض علينا هذا الانسان في حيرته وانهزامه ، وصراعه وكفاحه ، من اجل تحسين واقعه ، دون التقيد بقانون اخلاقي صارم يفرض نفسه عليه . والانهزامات المتعاقبة لا تفقد هذا الانسان ثقته بنفسه ، بل يؤمن دائماً انه بكفاحه المستمر يستطيع خلق مجتمع افضل . ولهذا فان من الطبيعي ان نفتقد البطل المثالي في ادب هؤلاء الكتاب ، فلم يعد هو الذي يستطيع خلق الواقع وتكييفه على هواه .

ولعل من الشائق ان نلاحظ ان هذا الفن القصصي قد ازدهر في البلاد التي تعرضت لحركات فكرية او اصلاحات دينية واجتماعية هذه الحركات التي حطمت كثيراً من التقاليد البالية والافكار البائدة ، فظهر هذا الفن يبحث في الانسان وجهاده ، وانهزامه وانتصاره ، في مجتمع واثق بنفسه ، مؤمن بقيمه ، فغني الادب بأمثال « مدام بوفاري » ، و« أنا كارنينا » ، و« الجريمة والعقاب » وو ... ولهذا السبب تأخر ظهور هذا الفن في ايطاليا .

وكبار كتابنا المعاصرين يسيرون في قصصهم في هذا الاتجاه . ونحن لا نستطيع ان نتجاهل التغير الكلي الذي مر به المجتمع الانساني ، لا في العلوم والتقنيات فقط ، بل في المفاهيم الاخلاقية ايضاً ، وتبعاً لهذا في الادب : فجميع المعتقدات - سواء منها المحسوسات او المغيّبات - التي كان يؤمن بها الانسان ، ولا يتطرق الى نفسه الشك فيها ، قد اصبحت في عصرنا معرّضة للشك والانكار ، وخاصة ما تعلق منها بالاخلاق ، والتقاليد ، مما حفلت به قصص القرن الماضي . ولهذا خلا هذا الادب من بطل يشبه « اوديسيوس » يتغلب على كل المخاطر ، ويذلل المصاعب ، ليصل آخر الامر الى مدينته منتصراً ظافراً . ومع ان البطل المثالي قد سقط في هذا الادب ، الا اننا لا نعدم الابطال في حياتنا اليومية ، ولكن على صور أخر : نراهم في الجماعات المناضلة المتكتلة المؤمنة بانسانيتها .

لقد اختفى البطل المثالي من هذا الادب ، فأصبح اعجز عن ان يكيّف الوجود على هواه ، لأنه ادب المجتمعات الانسانية ، لا ادب الابطال المثاليين .

الكويت — محمود السمرة

مقصلة آبائنا

✷

لثريا ملحس

✷

أيّ سِرّ ذاك سرّنا ؟
أي لحن ذاك لحننا ؟
أي ثورة تلك ثورتنا ؟
أي قوة تلك قوّتنا ؟
ماذا ينتظرنا ؟

*

وحوش في قلوبنا
خلعنا الأعشاب
صنعنا منها قسّينا
في أجوافها
دككنا قنابل الحديد
رحنا مع طلقاتنا
نضحك .. نبكي
بنينا الطريق من آمالنا
والاشواك تملأ احياءنا
دعسناها
سوّينا اعشاشنا
ربطنا في الارض اوتادنا
خيامنا .. قصورنا
حكّت بلساننا
انتظرنا
عدنا نبحث عن آثارنا

نلم الحروف
نصنع منها اعمارنا
نتيه على الدنى
نحبنا .. ظننّا .. بجلالنا

*

تسقط أوراقنا
صفراء .. حمراء
تتلوى الارض والسماء
تدفنان وجوهنا
تهزآن بنا
أين أقلامنا
حروفنا
أوراقنا ؟

*

نحيا في ساعاتنا
اليوم .. كل يوم
زحفنا نبني بيوتنا
من جديد
من ظلال أغصان شبابنا
زعق الكون في وجوهنا :
يا مساجين
يا عبيد
يا نعاج التقاليد

*

ايّ سرّ ذاك سرّنا ؟
اي قوة تلك قوّتنا ؟
اي ثورة تلك ثورتنا ؟
ونحني رؤوسنا
تشدّنا مقصلة آبائنا
أنطلب الحياة
نسجّل بأحرفنا خلودنا ؟
والصدى وراءنا :
يا مساجين
يا عبيد
يا نعاج التقاليد !

حظ المدرسة من شخصية الطالب

بقلم نسيم نصر

استاذ التاريخ والادب في ثانوية طرابلس

°°°

من الحكم المأثورة « من فتح مدرسة اقفل سجناً » و « اذا اهلت المدارس اقفرت السجون ». كلا العبارتين تنطويان على معنى واحـــد هو ان المدارس ضمانة إعداد للطالعين على الحيـاة ضد مآسي الاجرام وفظائعه وضد حطة الشوائن ولوثاتها وضد الخروج عن الآداب والقوانين ، او عليها بوجه عام .

ولكن علمني الاختبار التعليمي ان لهذه الضمانة المدرسية حدوداً لا تتعداها ان اقتصرت اساليب المدرسة على تنبيه الفهم وتلقين الحرف وصقل الذكاء. فحدود المعرفة على سعتها ونورها قد تبقى باباً للسجن او طريقاً اليه ان لم يقم عليها حارس من الاخلاق وحاكم من الضمير . انما نقرأ كل يوم جديداً من غرائب الاجرام يرتكبه فرد او جماعة ممن لم تستطع المدرسة « المفتوحة » ان تضعهم في غير طريق السجن ، وربما في طريـق الاعدام ..؟!
وحول طريقَي السجن والاعدام طرق وشعاب سنومئ اليها. هذا حديث اسوقه من آخره ، وكثيراً ما تكـون اواخر الكلام مفاتيحه او قواعده بها يبتدئ واليها ينتهي ، وبين البداية والنهاية ، في ما اسوق ، صور لا تخلو من عبر ، وفيه حروف على رقة طرسها وضيقه ، تتسع لاكثر من رواية ذات مغزى كبير ورأي ذي بال ، فينفسح المجال للاخذ بدراسة النفس مقدمة على دراسة الحرف وترقيم الحساب .

منذ حوالى ثلث قرن اقفلت مدرسة الفلق والركوع على الحصى ابوابها ونسي الوالدون قولهم للمعلمين ، وهم يستودعونهم فلذَ اكبادهم : « العظم لي واللحم لك » وفتحت المدرسة الجديدة ابوابها لتنشئ جيلاً جديداً تنمو فيـــه النفس الى جانب الفهم فيتميز الطالب بيقظة الكرامة واستقامة الذات الحرة .

وفي هذه المدرسة الجديدة طلعت مهمة ردم الوهدة ، القائمة دونها للعبور اليها من المدرسة العتيقة ، فوق كل مهمـة . وفي سبيل ذلك العبور من مدرستي ، مدرسة الاخضاع والتطويـع ، كان علي ان استفيد من مركّـب النقص ، الذي انا مدين به لهذه النبوة عن اساليب الامس القاسية والعمل باساليب اليوم ، القائمة على الاقناع والاغراء .

شعرت ، وانا طالب ، بانني عبد المعلم ، الذي كتب فوق باب مدرسته : « من علمني حرفاً صرت له عبداً » فقمت ، لأول عهدي بالتدريس اكتب فوق باب مدرستي : « من علمني حرفاً صرت له عبداً » ولذلك فضلت ان ابقى جاهلاً . وحمدت لجبران توفيره علي نقض تلك العبارة الهدامة باسم البناء والمستعبـدة باسم التعليم . ولكن الكثرة من ابناء جيلي ومن تقدمهم سناً من اولياء الطلاب ، قسمتهم منازع العصر ومستجداته الى فريقين :

فريق لم يستيقظ على نداء الذات المكبوتة ولم ينتبه لعجلة الزمان تسير بالابن في غير طريق الاب ، فاستمر لا يرى من وسيلة في تأديب الابن ، او على الاصح تطويعه وتخنيعه ، غير العصا ، التي صدّق « انها من الجنة » . وفريق استيقظ ، مبهوراً بمظاهر الحرية ، غير مدرك شيئاً من بواطنها ، فقعد متلهيـــاً بقشور الحضارة دون ان يبلغ لبابها .

وبين هذين الفريقين من الكثرة قامت قلة تلتمس الاساليب لوضع الناشئة في الطريق المؤدي الى غد افضل ، فكانت المدرسة الوسط الذي تتلاقى فيه هذه الوجوه المتنافرة والمنازع المتباينة وكان على المعلم الجديد ان يربي النفوس ويقوّم الاخلاق قبل ان ينير الافهام ويشحذ الذكاء . وها كم نماذج تدل على اهمية رسالة المربي .

طالب في الخامسة عشرة ، ربعُ القامة ، عريض المنكبين ، تنم ملامح وجهه عن قلب كسير وعزم خائر كأنه طائر مهيض الجناح ، جاء مدرسة وطنية ؛ فاذا بفئة من طلابها يلتفون حوله

في اول سانحة ، على الملعب ، يرشقونه بنظرات تنضح سخرية وازدراء ويتبذلون عند عينيه الغضيضتين بحركات وامارات اسالت منها دمعتين : دمعة ذل ودمعة ضعف ، واخرجت من حلقه شهقة خنقتها غصة تثير المروءة والاشفاق ؛ فاستقبلها رفاقه بلذة الانتصار وتصفيق التشفي .

طالب كهذا ما شأنه بالكتاب ؟ وما قيمة المعرفة في ذاته إن لم يُحقن بدم الشجاعة ويعالَجْ بالموقظات النفسية ؟ وماذا يُنتظر من صبي يستقبل الرجولة بمثل هذا الانهيار الشخصي ؟!

خلوت بهذا الصبي لاخبر داءه ، فانتزعت الكلمات من شفتيه انتزاعاً ، بعد ان اطمأن الى انتصاري له وعطفي عليه ، فاذا هو يتيم الام روَّضَتْـهُ زوجة ابيه الثانية ، في غفلة من مسؤولية الابوة ، بقساوة جعلته جهازاً بشرياً خالياً من اي اثر للارادة او الثقة بالذات ، فكان خادماً ذليلًا لاخوته الصغار ، من ابيه ولكن مع شعوره بفقدان الاخوة الاصيلة .

وكانت خلوة اخرى حضرها الاب ، فكشفت له عن فداحة الجرم الذي ارتكبه بالزامه ابنه مؤالفة هذا الخضوع الاعمى ، القاسي ، المؤدي الى تعطيل القوى النفسية تعطيلا كاملًا لا تنفع فيه التنميات الجسدية . وصورت له ابنه رجلا يسير في الناس مطأطىء الرأس لغير ذنب ، وقد يُصفع اعتداء فلا يجرؤ ان ينظر في وجه من صفعه في عرض الشارع .

وحكم الاب بنفقات ثلاث سنوات مدرسية داخلية عاد بعدها الابن الى البيت الاهلي فكان عماده ونوره .

وطالبٌ ثان جاء مدرسة داخلية ، وهو في الرابعة عشرة ، تبدو عليه ظواهر الترف والبطر ؛ فلم ترقه غرفة منامة فيها ، على حداثة البناء ، ولم يعجبه لون من طعامها ، ولم يكن في تلك المدرسة من يستطيع ان يعدل ولو يسيراً من اعوجاجاته ، التي لا تحصى ، فقد كان ذا ارادة ، ولكنها شاذة ، وذا ثقة بنفسه ، ولكنها جوفاء . . فهو على حد قول امه ملبى الرغائب مهما كانت . . حتى اذا قال : «البحر حلو» اجابت : «انا ذقته احلى من العسل»!.

هذا طالب لفظته المدرسة فغادرها لكي لا يجد غير مدرسة امه ، التي تجعل له الاوقيانوس مجمعاً من العسل . . ولكي يجد باب سجن يستقبله رجلًا . .

وفي من عرفت من الطلاب مئات افسدها البيت او كاد ، فجاءت المدرسة وفيها من الامراض والادواء مـــا لو اردت الالمامة به لضاقت بي مئات الصفحات ، ولكي اكون على صلة وثيقة بعمومية العلاقة بين المدرسة وشخصية الطالب اود ان المع الى الاجواء المدرسية نفسها ، كما عرفتها طوال ثلاثين سنة .

من المدارس القائمة على شؤون النشء في لبنان ، فئة ترى الاخذ بأساليب الانتظام القسري او السلبي ، ومنها فئة ترى العمل باساليب الانتظام الاختياري او الايجابي ومنها مدارس ترى التوفيق بين القسرية والاختيارية اجزل فائدة واقرب الى سواء السبيل .

اما المدارس ذات الانضباط القسري فهي اشبه ما تكون بالمعسكرات التي استدق فيها النظام ، فيساق اليه الطلاب سوقاً يهددهم في كل مخالفة عقاب ويقدمون على كل بادرة حساباً . وهي مؤسسات تقوم بقسطها من تنمية المعارف واستيفاء المناهج على تنوع فروعها ، دون ان تنبه في الطالب قيم الذات الى جانب معاني الحرف . وقد يخرج منها محصل المعرفة بنصيب وافر من معارفها ولكنه يبقى مع ذلك ، مقتبساً اكثر منه مولداً او نظرياً اوسع منه عملياً . وهكذا يستمر خريجها ، غالباً ، مفقود الصلة بين النظام نفسه وحب النظام ، ومقطوع الرابط بين المعرفة بحد ذاتها ، كمقدار ، وبين الشخصية العارفة ، كانسان اخذ ليعطي وربما كانت هذه المدارس من بقايا مدارس عبودية الحرف . . وحجتها في البقاء على ارض لبنان ، انها تشيع هيبة النظام ، ولكنها لا تدري انها تفقد حب النظام او توقظ روح التمرد عليه كرهاً به . ويحترم النظام عن خوف لا يستطيع ان يبني داخل بلاد هذا النظام ، والمتمرد عن ضغينة هدام مخيف ؛ فالمحبة هي البناء الافضل المطمئن الى ما يبني .

واما المدارس ذات الانضباط الاختياري فهي مؤسسات تربية قبل ان تكون مناهل علم ، تزين لك النظام وتقبح الفوضى فتحملك على سلوك السبيل المزين وتنبو بك عن القبيح . وهذا النوع من المدارس حديث العهد يجب ان تسانده تربية بيتيـة لكي لا يكون الطالب ذا نشأة قسرية او اهمالية في البيت فلا تكفل ان تصلحه بالوسائل الاختيارية التي يعتمدها هذا النوع من المدارس . واهم اسباب الاخفاق ، الذي يهـدد الانتظام الاختياري ، حداثة عهدنا في الاخذ بالحريات الفردية والجماعية وكون الابناء ما يزالون في اكناف والدين ، في الغالب مشدودين الى امسهم برجعة كأنها الحنين الى القيد والاطمئنان الى الاستبداد!!

من هنا تبدو الحاجة عظيمـة الى مدارس التوفيق ، بين القسرية والاختيارية ، لتستطيع الناشئة ان تقارن بين لذة الانتظام

قفزة الى الهاوية

بقلم محمد حيدر

*

قصة -- قصة ؟ .

نعم ، قصة ، وما الغرابة في ذلك ؟ ألست كاتب قصص ؟ معك ثلاثة ايام ، وبعدها تطبع المجلة .

– سنعطيك عشر ليرات هذه المرة ، كالسابق ، وفوقها خمساً زيادة . حاول ان تكون جيدة ، مثيرة .

– على فكرة – لقد جاءتنا رسائل من القراء ، انهم معجبون بقصتك الماضية . « سوقك ماشي » ستزاحم كبار الكتاب ، وضحك بسخرية . « خود سيكارة » دخن . اشعلتها . كنت اريد ان اتكلم ، ان اعترض ، ان اقول له « مستحيل » هذا جنون او سخافة او انني كاتب حقيقي ، وهذا ما لا اظنه ، كيف بثلاثة ايام ؟ لست آلة او معمل كازوز ، بويجي او بائع فلافل . كازوزة سندويشة من فضلك .

لست شيئاً من هذا ، انني انسان لي حريتي ، ولن اكتب قصة في يومين ، او ثلاثة حتى ولا في اسبوع او شهر ، بل ولا اريد ان اكتب على الاطلاق .

لست كاتب قصص « محترف » هناك كتاب محترفون ، مثل ... عفواً : دائماً انسى الاسماء المشهورة ، علقوا على واجهتهم « آرمة » كاتب قصص ، يكفي ان تطلب قصة ، من اي نوع : غرام ، مأساة ، قصة هزلية ، عن الخبز ، او العمال ، حتى والمحاربين في كوريا . لديهم قصص جاهزة « تحت الطلب » كأن دماغهم معمل ، لست واحداً من هؤلاء ، انا من الهواة ، اكتب عن حياتي التافهة المملة الفارغة ، واحياناً عن الوجود باجمعه . فقط عن هذه الاشياء ، انني انسان له حريته ، اكتب ما اريد بالطريقة التي تعجبني ولا اكترث بالباقي : المجموع ، الاكثرية ، المجتمع . والجرائد والمجلات ، لعنة الله عليها ، انها تلتهم كل شيء دون توقف ، كل انتاجنا الفكري ، نحن طبقة المفكرين والادباء وكتاب القصص .. عفواً لست منهم ، اقصد الآخرين ، انني ارثي لهم . مساكين . يسهرون الليالي ويقدمون مجهود الفكر الى الجرائد ، ثم يأتي اي انسان ، حتى ولو كان ممن يقرأون الجرائد « بالمقلوب » .

الذاتي وكبره ، وبين جفوة الانتظام الجبري وذله . عندئذ يقوم جسر العبور من مدرسة تعد عبيداً متعلمين الى مدرسة تربي مثقفين احراراً ، اولئك يتعلمون في سجن من المسكنة والانقياد تتضاءل فيه ذات الانسان وتنكمش زاحفة ، وهؤلاء تتنامى مداركهم في جو من الكرامة والعفوية ، تعظم فيه ذات الانسان وتنطلق محلقة .

وبعد ، فحظ المدرسة من شخصية الطالب لا يستمد قدره من كثرة ابنية المدارس ومعلميها وطلابها . ان حظ المدرسة من بناء رجال الغد الافضل ونسائه يستند الى المناهج التربوية فيها ، والى احاطة تلك المناهج بدراسة النفوس في تمايزها وتفاوتها في خضوعها وتمردها ، والى القاء الضوء على معاشر الاخلاق قبل التهويل بشدة ما ينال العاثر من عقاب .

وقد تأهل المدارس فلا تقفر السجون .. وقد نفتح مدرسة فتكون سجناً للصغار تهيء منهم زبائن لسجن الكبار .

نسيم نصر

جريدة ، مجلة ، من فضلك ، « خمس فرنكات »على الاكثر هذا ثمنها ، « بسيطة » ، « تسلاية » يا للمهزلة .. مرة كنت اشتري ، ذرة مسلوقة ، او كنت اصلح حذائي ، لا ادري واقسم باغلظ الايمان والآلهة ، انني نسيت .صدقوني انني نسيت وصر لي البائع الحذاء – على الاغلب – ولفت نظري عنوان : « بودلير والبسيكولوجيا المعاصرة » حاولت ان اقرأ الورقة ، او اجد بقية المقال ، وضحك البائع قائلاً بسخرية ، « هادا شي منو كتير » « شوف » واراني كدسة من المجلات كلها مشهورة ومحرروها كتاب كبار ، اذكر اسماءها ، ولكنني لن اكتب شيئاً عن هذا الامر ، كدت استدين منه ، ولذا ضحكت ، كأنني اسخر انا الآخر ، ضحكت مسايراً اهواءه .

مساكين ، اخوتي ، انني ارثي لكم ، معشر الكتاب .

« نريد قصة » .

قالها رئيس التحرير وانتهى الامر بالنسبة له ،انه يأخذ راتباًمن ثلاثة ارقام : ثلاثة ، اثنين ، خمسة . ماذا يفعل ؟ عليّ ان اتدبر الامر واكتب .

انني انسان له حريته ، لا اريد ان ابيع فكري ، ان اختلق القصص واكذب لاعيش ، كأنني محتال ، ما الفرق ؟ امسك القلم ، واحبس نفسي في غرفة ، او قهوة ، واحياناً في الخمارة القريبة ، ساعة او ساعتين ، ربما اكثر ، لا يهم الزمن ، يكفي ان يكتب الانسان .

امسك القلم واحك رأسي ، واخرج للناس بكذبة ، وتنشر على انها قصة عظيم .. ثم آخذ ثمنها كانني عامل ، صدقوني انني لا اسخر من العمال ، لكل انسان حرفته : بائع جرائد ، صانع احذية .. وانا مثلهم ، صنعتي كاتب ، افوقهم انني مشهور .هذا هو فلان ، انني اخجل واشعر بقرف من هذا الاسم ، فانا دائماً اضع في ذهني مقابلاً له « حكواتي » . كم اكره هذه المهنة . كاتب اديب ، قصصي .. انني اضحك ، صدقوني ، انني اضحك واخجل – دون تصنع – من الاعماق .

الحقيقة : مهنتي تسلية الناس وهي مهنة ، رغم انها سهلة – احياناً – وضيعة .

دارت هذه الامور بعقلي ،ولكنني لم اقل شيئاً منها ،كنت اعيش من هذه المهنة ، من التسلية عفواً ، دائماً اخطىء ، فانا لا اريد ان اجرح ، او اثير مشاعركم واحطم مثلكم العليا عن الفن والادب ، اقصد : كتابة القصص .

اكتب في الاسبوع قصة واحدة ، بعدة ليرات .. اشرب الدخان والخمر ، واحياناً ادخل المطعم ، او اشرب الخمر في الحانة القريبة .. المظلمة . وانا لا احسن عملاً آخر ،علي اذن ان اقبل الامر واكتب .

سأحاول لا بأس بالتجربة .

طيب « هات كم ورقة » .

خذ . واحد ، اثنان ، ثلاثة تكفي ؟ . لا . انني مفلس . خذ . ثلاثة ، اربعة ، خمسة . تكفي .

عال . عال .. « هات سيكارة » .

اشعلتها ، عظيم ، الدخان ورائحته ، وان تأخذ « سحبة » عميقة . ثم تركته ومشيت .

تواجهني الآن الصعوبة ؛ الحقيقة المؤلمة .. ان ابيع ذاتي وفكري . وماضي باجمعه ، والا كيف يمكن ان اخلق الآن قصة ؟ سانبش الماضي واستخرج منه قصة ، ساكتب لاعيش ، ليكون معي ثمن الطعام والدخان والخمر الذي اشربه ، والا تكررت المأساة ، او التجربة المخجلة التي ساحدثكم عنها . سموها ما شئتم ، ولكن لن تجدو لها اسماً حقيقياً ملائماً ، فهي تجربة لا تنسى وخجل فريد .

اسكن في بيت ، في غرفة منه معتمة ، رطبة ، بابها مشقق ومزاليجها صدئة ، حاولت – دون جدوى – ان اخفف من صريرها المزعج ، زيت .. زاك ، شد ما يزعجني الصرير ووقع الاقدام على السطح ، انا الذي احرص على الهدوء .

اثاثها رخيص : كرسي ..وطاولةمتحوطة،كتب واوراق وقلم رصاص . اوراق بيضاء استعملها – غالباً – « للخربشة » او كتابة القصص ، واحياناً ارسم عليها ، ثم شفرةوعلبة كرتون استعملها منفضة للسجائر . هذا كل ما تحمله ، ودرجها مخلوع كعين فارغة .

وخيط من اول الغرفة حتى النهاية ، كثيراً ما ينقطع ، استعمله لتعليق الملابس : قميص وبذلة ومنشفة، واشياء اخرى مجهولة لم استعملها بعد .

وفراش حاولت مرة ان ابيعه ، وطاقة صغيرة ، اسميها اذا سئلت نافذة .

وجارتي ملعونة .. شمطاء ، سليطة ، وهيئتها مرعبة،تزعق كساحرات « ماكبث » وتضحك وهي تراقبني بصورة خفية وترمقني باطراف عينيها ، فاذا فاجأتها بنظرة تشاغلت كأنها تنظر الى شيء آخر غير موجود .

كانت تقيدني ، كأنني محصور ، هذه المراقبة ،فاشعر بقلق

غامض ، وخوف ، واتساءل متعجباً ، ماذا تريد مني ؟ كنت اشعر انها تقيد حريتي وتضغط وجودي بهذه النظرة ، وان جزءاً من ذاتي ينزلق نحو هاوية ، سوف تبتلعه ويضيع فيها للابد .

ويبدو في هيئتها انها كانت تتحين الفرص للايقاع بي ، ولم اكن اعرف لماذا ، وحاولت ان اسألها سبباً لذلك ، لكنني لم افعل ، كنت اخافها - حقاً - دون سبب معلوم او مقبول ، ولا ارغب ان اطلعها على خيبتي او استسلم بسرعة ، لهذا لم اسألها عن شيء ، وكانت الملعونة تراقب في سرور خبيث هذا الصراع والقلق ، ولذا سكت على مضض : فانا بطبعي مسالم ، لا احب ان ازعج او يزعجني احد ، حتى ولو كانت ذبابة ، او البق الذي يفسد علي حياتي بازيزه وقرصه .

كانت الخمر وسيلتي الوحيدة لأنسى واكتسب جرأة جديدة فاطارد الذباب والبق ، واناقش الجارة الحساب ، اسألها عن الماضي والحرب والاذاعة ، وافلام هذا الاسبوع والكلبة «فيفي» واولادها الخمسة ، وسر هذه النظرات وهيئتها الملعونة المقرفة ، وعن الطعام الذي تطبخه ..

صدقوني بذلك ، اذ كنت اتسلــــل - حسب الحاجة الى المطبخ - لاغافلها في شيء ، في شيء من الجبن او شقفة من الخبز أو حبات من العنب . وكنت اجد صعوبة في ذلك ، اذ كانت الملعونة تحصي ما عندها وحتى الطعام كانت تعلمه . فاذا احسست بشيء ، بوقع اقدامها مثلاً ، او صرير الباب او صوت الكناس في الشارع ، حتى ولو كان هذا الشيء « مجرد خربشة » كنت اتظاهر بانني اشرب ، او اتشاغل بامور اخرى ، واحياناً اهمهم باغنية ، ويعلم الله ، ويشهد رفاقي بذلك انني لا احب الموسيقى ولا الغناء ، واكره فاجنر وبتهوفن وتشايكوفسكي . وحتى ما اغنيه كنت لا افهمه . ولكن علي ان اتظاهر بشيء من هذا القبيل لانفي شكها في اماتني واشعر بالاطمئنان .

كنت انجح في تمثيل هذا الدور ، ولكن الستار رفع فجأة مرة ، قبل ان يلبس الممثل قناعه ، فبانت حقيقته .

مرة ، كان بي جوع ، جوع شديد ، وكنت اريد ان آكل ، ان اسكت هذا الجسد كنت اجوع وانا طفل ، كان ذلك في البيت ، فاذهب الى المطبخ ، لا اتسلل ولا اخاف .. آكل ما اريده وانبش الصناديق عن امور مخبأة ، اخبأتها امي مسكينة ، كانت تجني وتخبىء لي ما احبه ، تصوروا ، وصدقوني بذلك ، انني كنت اوقظها بالليل ، هذه الملعونة ليتها مثل امي سأوقظها الآن ، وابكي ، واطلب شيئاً آكله . لاسكت هذا الاحساس بالفراغ ، وانني جائع ، والمعدة المتقلصة باستمرار.

لست اجرؤ ، ستضحك ، واستسلم الى الابد ، وهذ ما تريده لماذا اخاف ؟؟ ولو استسلمت ، ماذا ستفعل بي ؟ انها امرأة شمطاء ، اقصد : قبيحة ، وانا رجل .. ماذا ، ستفعل مع رجل مثلي ؟

لعل الملعونة نائمة ، سأذهب الى المطبخ ، وآكل واشرب وانام ، وفي الصباح لتفعل ما تريده ، لتفعل ما تريده .

انها نائمة ، قطعاً ، لا حركة ، ضوؤها مطفأ والنواسة مشعلة سأفتح الباب ، ويوقظها الصرير ، فالملعونة (نومها خفيف) .

يرهقني هذا السكون المطلق ، له مـا وراءه . تسللت الى المطبخ ، انني اميزه واعرف مواضع الاكل .

ليتها لا تفيق الى الابد ، انني ارتجف ، انا خائف ، خائف من مجهول ، من شيء سيحدث لا اعرفه .. سأغامر ، اشم رائحة الاكل .. انني خائف ، لقد وقع المجهول .

اضيء النور وكانت الملعونة بالباب .

ليس لي عذر هذه المرة ، يدي تلامس الصحن ، ولا استطيع ان اتظاهر بالشرب او ابدأ بأغنية ، او ابحث عن شيء .

انزلت يدي ببطء . واشياء غريبة تنهار تحت قدمي ، والعالم يتضاءل وينكمش بسرعة ، والمنحدرات تتشعب وتمتد نظراتها تخترق ظهري انني اراها تبتسم ، وجهها (المقحوط) وصديد عينيها ، وفمها .. كيف سأقبله ، (مستحيل) هذا الامر ، لتفعل ما تريده لن استسلم فأشم رائحتها الكريهة ، وامتص لعابهـــا السائل مستحيل هذا الامر .

العالم اصبح غريباً في نظري ، هدير الماء ، والسكون ، ثم الظلمة ، وانا اتراجع ، واتقلص ، وجزء من ذاتي ينفك وينزلق سوف تبتلعه القمة والهاوية ، ويضيع فيها للابد .

انا في غرفتي منذ ساعات ، ادخن واسكر ، امامي عدة صفحات من الورق (مخربشة) وهذا ما كتبته ، لكن ليس له ظل من الحقيقة ، صدقوني بذلك : فانا اسكن في غرفة رائعة واشرب اجود الدخان والخمر واذهب الى احسن المطاعم ، ولن آخذ قرشاً واحداً ثمن ما كتبته ، انا اكتب لاجل الشهرة فقط صدقوني مرة اخيرة ، لهذه المرة فقط ، صدقوني انني احتقر هذه الشهرة ، واعدها تافهة ، واخجل منها . سوف تنشر هذه الكذبة او الخربشة ، وتقرأ .. وسوف يقال ، ويا للمهزلة انها قصة .

دمشق — محمد حيدر

قبل ان ينضج الزمن

✶

لى ميخائيل نعيمة

•

لمحمد الصباغ

•

رب — تطوان

✶

حباب من هواء يتقسم ويتناثر على سعاف الشمس ، وعرق الليـــالي يتصبب حافياً على سواعد القمر العاري .

وفي البحر سلاسل مشدودة في الرواسي تجذب اكواماً من الملح العتيق ، على نواح عذراء تلطم خدها وهي محفوفة بظلال السنين .

✲

كل شيء ينتظر الانعتاق . أما السماء فكأنها أمواج من صراخ تمشي على آفاق مزروعة بالاشواك .

✲

مدت الارض يدها الى السماء وهي في سبات قديم ، فمزقت من صدرهـا قطعاً من الغمام ، ومسحت بها عينها فرأت حولها جداول وانهاراً تسعى للجريان .

✲

لم يكن النور يعرف سر الظلال ، فقد كان يشعر ابداً بحرارة شديدة في قلبه . وفي ظهيرة متكسرة الأشعة ارتقى الى قمة جبل ، وما ان اطل بجسمه على هـذه القمة حتى هوى ، وبينما هو في طريقه رأى ظله ملتصقاً بالارض ، فتشتت شظايا يزرع بذور الشمس .

✲

اما الجمال : فقد كان يلهث رضيعاً تحت اقدام الغزال .

اما الحب : فقلب فراشة مدفون في الثلوج ، او كعرق السراب يرشح ماء حلواً رفيقاً .

✲

كم تمنى السهاد ، ان يظل طول حياته مستيقظاً خيفة من ان تحلم زهرات الدفلا انها ورود .

✲

ويقول الماء للصخر في الصحراء :

مهلاً مهلاً ، غداً سانبثق منك ، فينبثق مني الغمام ، وتتفجر من الغمام الرياض ،

ويزيد قائلاً :

من جوفك ايها الصخر ستجنح العصافير مبشرة باليوم الجديد .

انت معدن الجبال ، والسهول ، والوديان .

انت احلام الربيع ، وعرس الفراش ، وشال القمر .

انت سر المناجم ، وبذرة المنخفضات والمرتفعات .

منذ ألوف السنين ، وبينما كنت متجولاً في السهول ، سمعت حديثك مع الغبار وانت بعد ذرة حقيرة تتوسد على سواعد آبائك واجدادك ، أشقاء السماء ، ومرافىء النجوم .

✲

سمعت هذا نجمة " رضيعة " عمرها شفق وليلتان ، فابتسمت وثغرها يتقطر لبناً ، وقالت في نفسها : ترى متى تكبر اسناني ؟ متى أصبح مرآة لاصداف البحور ؟ متى امشط جدائلي فتجمع بنات الليل جواهري ، وسبحت في السماء تتغذى من زرقتها ، وتبري أطرافها على سندان اثيرها .

✲

تثاءبت الارض ، فبسطت يديها ورجليها على الضفاف ، واستسلمت للذيذ الاحلام .

الطفل السعيد

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

*

ان الهدف الاكبر الذي يقصده علم النفس من دراسته للطفل هو تحقيق سعادته . وباسعادنا الطفل فاننا نسعد الام ، ونحقق الاطمئنان بين افراد الاسرة التي يعيش فيها الطفل السعيد . وكلنا يعلم ما يمكن للطفل – على ضعفه – ان يمنحه من سرور لمن يعيشون حوله عندما يكون سعيداً . فان كانت سعادة الطفل هامة لهذا الحد فلمَ لا نتعب لتحقيقها ونشرها بين اغلب الاطفال ؟ فبدلاً من ان تعاني الام محنة في تربية طفلها يمكنها بشيء من العناية الوصول للتمتع بلذة التربية والى اسعاد الاسرة كلها .

ويجب ان نذكر دائماً ان الصحة هي منبع سعادة الطفل فلا بد من بذل كل مجهود في سبيل وقاية الطفل من كل اضطراب يمكن ان يضعفه . والعناية تبدأ من ايام الحمل الاولى . فلا يجوز لأم شعرت ببدء تكوّن الجنين في احشائها ان تسرف في أكل المواد الحارة لأن التهاب الامعاء وما يتبعه من تعب عصبي داخلي يؤذي اعصاب الجنين ويولد الطفل مستعداً لشدة الانفعالات . وينهى الاطباء الحوامل في اوروبا عن تناول الخمر فيجب علينا في الشرق ان ننهي الحوامل عن الاسراف في اكل الفلفل الحار وما يشبهه ، ونفهم قيمة هذا النهي اذا تذكرنا ان بعض السيدات يستعملن الخمر كوسيلة للاجهاض اي ان ما يحرق الاعصاب سواء كان كحولاً او فلفلا او تعباً زائداً يعرض الجنين للسقوط وفي الغالب لا يسقط الطفل ولكنه يتكون تكويناً ناقصاً ويولد مشوهاً او ضعيف التكوين العصبي ليعيش شقياً طول حياته . والطفل الناقص في جسمه او اعصابه كارثة على الاسرة وعلى المجتمع . فانا لا اكتفي بهذا النهي ، بل اوصي الامهات الحوامل ان يكافحن ضد الامساك في مختلف درجاته لانه يعرض الام للضعف ولأن الفضلات بتأخرها في الامعاء تحدث تخديراً وتفعل فعل الخمر ويضطرب النمو الطبيعي لدى الطفل . فالطفل الذي بدأ تكوينه في جسم سليم يولد سليماً وينمو بسهولة في جو من الهدوء والمرح وتكثر ابتساماته الجميلة التي تدخل السرور في قلوب كل من يشاهدونه .

وأما الاطفال الذين ساء حظهم وحملتهم امهات جاهلات فكرن في أنفسهم ولذاتهن ، فانهم يولدون ضعافاً ، يسرفون في البكاء ، ويكونون خاملين يبدو عليهم الذبول والحزن دون سبب . واغلب الاشخاص الذين عرفهم التحليل النفسي بؤساء في حياتهم دون ان يكون لهم عقد ولا صدمات فانهم كانوا أطفالاً بؤساء منذ اولى لحظات حياتهم .

واثبت فرويد ان الطفل يتعلق بأمه ويشعر بضيق عند ابتعادها ويولد ذلك في نفسه اول بذرة للقلق ، فيجب ان تتعود الأم النظام الدقيق في اوقات الابتعاد عن طفلها ، وذلك لأن ابتعاد الأم يحدث نوعاً من الألم النفسي يعبر عنه الطفل بالبكاء . فيمكننا تفادي هذا الالم بنظام معين ثابت يجعل الطفل يتعود غيابها في اوقات معينة ، ويحسن ان يكون الانفصال صريحاً لا خلسة كما تفعل بعض الامهات . فالطفل البالغ من العمر سنتين يبحث عن امه بشدة لأنه يعاني آلام الانفصال عنها بالمشي ، فهو يلح في طلبها ويتعرض لأزمات نفسية مقلقة ، ولكن الام التي تكون قد تعبت من تربيته ترغب في نوع من الراحة وتسلمه للمربيات او الأقارب . ونشاهد اغلب الاطفال في مثل هذه السن يتعرضون لصراخ شديد طالبين امهم ، وكثيراً ما يقول لهم من حولهم : ستأتي حالاً ، وهم يعلمون انها ستغيب مدة طويلة وينتظر الطفل متعرضاً في كل مرة الى خيبة امل . ويقضي هذا

الاضطراب على الاطمئنان والسعادة، بخلاف الحال عندما يتعود الطفل غياب امه في اوقات معينة ويتفنن الاهل الذين يحرسونه مدة غيابها باشغاله وتركه يلعب العاباً متنوعة. ونحن نشاهد ما يفعله فينا الانتظار ونحن اقوياء لنعلم اننا نقضي على راحة الطفل الطبيعية عندما نعرضه لانتظار طويل سواء كان للقاء امه او لأكل او لغير ذلك. وهناك قاعدة تقول الانتظار يولد الانفعال والانفعال يعكر الدم ويفكك الاعصاب. فكيف يمكن لطفل ان يكون سعيداً ان وجد نفسه دائماً في مواقف انتظار تهدد كيانه.

وهناك موضوعات اخرى هامة يجب التفطن اليها لتحقيق سعادة الطفل، فان الطفل يبذل – مثل كل كائن حي – طاقة ومجهوداً للوصول الى التكيف مع البيئة التي يعيش فيها. فعندما نضع طفلا بين ايدي مربية، فانه يحاول الخضوع الى عاداتها ويتأثر بناء على ذلك بجزء من طباعها. فعندما نكثر من تغيير المربيات فان الطفل يتعرض الى آثار نفسية مختلفة ويبدأ اتجاهات متعددة دون ان يستمر في احداها. وتظل هذه الاتجاهات معلقة كالمشكلات التي لم تحل. ويمكننا ان نعرف حالة الطفل المتعرض لتغيير مستمر في المربيات بحالة امة تعددت حكوماتها في فترة قصيرة من الزمن: كل حكومة تبدأ مشروعات تهدمها الحكومة التي تليها. ويثبت علم الاجتماع ان حالة عدم الاستقرار هذه تضعف الامة في نموها الاقتصادي والثقافي وغير ذلك. فكذلك عند الطفل يحدث تغيير المربيات اضطراباً واضحاً في الشخصية.

واثبتت الملاحظة ان الطفل شديد الحساسية لتغيرات مزاج الام والمربية ويتأثر بسهولة لحالتها حتى ان بعض الاطفال يبكون لمجرد مشاهدة تعبير الحزن في وجه من الوجوه. فاذا ابتسمنا لطفل رضيع فانه يجيب بابتسامة، وان وترنا عضلات الوجه فانه يتوتر.

ان كانت حساسية الطفل تصل الى هذه الدرجة من الاستجابة فما بالك حالة تعريضه الى صراخ ناتج عن خلاف بين اعضاء الاسرة او عندما يتعرض الى اضواء شديدة او اصوات عالية في حفلة كبرى. كل هذه الاحساسات الشديدة تتعبنا نحن وتوتر اعصابنا وتعكر مزاجنا وهي بالنسبة للطفل اكثر خطراً.

اذا تفادينا هذه الاخطاء كلها تكون صحة الطفل دائماً في ازدهار ونموه مطرداً في اتجاه طبيعي. والصحة هي منبع الانشراح والشعور بالاطمئنان. والطفل السعيد يميل الى الحركة فلا بد من ان نفسح له المجال ولا بد من ان نرعاه في حركاته لنخرجه من بعض المآزق التي يتعرض لها. وكبت حرية الطفل يجعله يشعر بالسأم والضيق ويعرضه الى توتر ان استمر احدث انفعالاً وغضباً.

ويسعد الطفل ان يطلع على اشياء متنوعة غريبة بالنسبة اليه فيحسن في بعض الاحيان ان نساعده على التركيز بنوع من التشويق، واذا اتجه انتباهه الى شيء من الاشياء فلا ينبغي منعه بقوة، كما ان عملية الاخفاء والابعاد تفتح عند الطفل باب الشك. فالطفل منذ سن الرابعة يدخل في طور الاكثار من الاسئلة، فيحسن ان نجيبه اجابة ملائمة لذكائه. واعترف ان اسئلة الاطفال تكون في بعض الاحيان محرجة تثير موضوعات جنسية لا تمكنه سنه من فهمها، واحيانا تثير اسئلته موضوعات علمية يجهلها المسؤول نفسه: فماذا يمكننا ان نقول لطفل يسأل عن سبب كون القمر دائرة، ففي هذه الحال يمكن الاجابة بتشبيه.

وقد ذكر كلاباريد – العالم النفسي السويسري – ان طفلة في سن الرابعة اصيبت بداء التفتيش والتنقيب بشكل مرضي، تلح في تحقيق رغبة البحث في كل درج وفي كل خزانة وتعدت المسألة الى حقائب يد السيدات الزائرات. فكانت الطفلة تثير ضجة برغبتها في التفتيش المستمر حتى في الجيوب والظروف وغير ذلك، تريد ان تفتح كل مقفول حتى تعرف ما فيه – ويمكننا ان نتخيل الازمات الناتجة عن هذا السلوك الشاذ – ووجد كلاباريد بعد تحليل هذه الطفلة تحليلا نفسياً انها كانت سألت اهلها مرات عديدة عن مصدر الاطفال فاجيبت اجابات غامضة وكانت الطفلة في منتهى الذكاء، فسألت احدى زميلاتها في المدرسة فاخبرتها عن الحقيقة وادى بها ذلك الى انتزاع الثقة من اهلها وتوهمت انهم يخفون عنها اشياء اخرى وبناء على ذلك بدأت تبحث بنفسها الى ان تفاقمت حالتها.

والخلاصة اننا نستطيع ان نجعل من الطفل كائناً سعيداً مرتاحاً مرحاً ان تفادينا بعض الاخطاء في الغذاء بالنسبة للحامل. كذلك عندما ننقذه من الانتظار المتعب ونبعده عن الصراخ والضوضاء والانوار الساطعة وعندما نتفادى تغيير المربيات ونسايره في رغبة الاسئلة في سن السؤال. بذلك نتفادى التوتر ونحقق السعادة ونقضي على بذور العقد النفسية.

القاهرة — ابو مدين الشافعي

في موكب الادب

بقلم رضوان ابراهيم

لم يجمع الادباء والنقاد على مبدأ كما اجمعوا على ان الادب يجتاز اليوم فترة من الحيرة الممضة والقلق المحتدم يعبر فيها تعبيراً لا شعورياً عما ينتاب الحياة التي يكابدها ويوشك ان يذوب في ضجيجها الصاخب ، ويتفتت تحت اثقالها المحطمة .

وإن تعجب فعجب ان اساة الادب يتفقون على علته المؤسية ثم يختلفون اوسع الخلاف في تكييف الداء ، فلا يتهدى رأي الى رأي في اصله ، ولا تلتقي فكرة مع فكرة في الطب له .

والادب بين هؤلاء واولئك يذوي ويتضاءل وينكمش ، وينزف من ذات نفسه ، فلا يقوى ، ولا يشتد ، ولا يتماثل ، وكأن الادباء يرتقبون به النزع الاخير ليقيموا حوله المناحات او ينظموا مواكب الذكرى ، او ينثروا الريحان على جثمانه الشهيد .

ولست مع الذين يسرفون في التشاؤم فيزعمون ان الظلام يسود آفاق الادب ، وان شاعراً من الامة العربية لم يظهر بعد شوقي ، او ان مسرحياً لن ينبغ مع توفيق الحكيم .

لا .. ولست مع المغالين في تفاؤلهم ، المدعين ان ادبنا المعاصر قد سما الى منزلة من الانسانية يساير بها ركب البشرية المتطورة ، معبراً في صدق وقوة عن امانيها ومآسيها .

ولكن النظرة الموضوعية المنصفة بين هؤلاء واولئك تبيح للمرء ان يستبشر بآت للأدب منتعش ، اذ يلمح بوارق فجر جديد ، ان لم يكن اشرق ، فقد انجلى عنه ليل ، واذن به مستقبل واع محلق ، يقولون : متى هو ؟ قل عسى ان يكون قريباً .

وما دام ادبنا قد تنزل من ابراجه الى غمار الحياة يزاولها كادحاً ، فسوف يستمد من كفاحه الحصانة والايد ، وسوف يهبه طول المجالدة وصبر الكدح دماً جديداً ، فيه المناعة ، وفيه الاندفاع الهادف نحو آمال عرضها السموات والارض والحياة وما وراء الحياة .

وما ريب في ان الادب لكي يكتسب هذه القوة وهذه المناعة لا بد ان يسود مختلف الوان الحياة ، ويطرق كل ابوابها ، ويحلق في شتى آفاقها ، ويتناول كل مشكلاتها ، ولا بد ان يصبح زاداً من زاد الحياة اليومية في دنيا الناس .

وما من شك في ان الادب مسؤول مسؤولية خطيرة لا فكاك منها عن تثقيف الشعوب وانهاضها ، وفتح بصائرها على نور الحرية ، واضاءة سبل الكفاح للكادحين ، والاخذ بايديهم الى آفاق جديدة من الانسانية في سموها وكمالها ، فاذا تخلى الادب عن هذه الالوان وهي سر حياته وبقائه وانتشاره وسيادته ، فقد تخلى عن حياته ، وانزوى مختاراً ، وتضاءل راضياً ، وآثر لنفسه حياة الظلام .

هذا حق لا اختلاف عليه ، ولكن الخلف بين اصحاب الادب ، هو كيف يندمج الادب في دنيا المجتمع ؟ امستعطفاً متزلفاً مندفعاً في التيار ، مرتبطاً الى عجلة الحياة ، يلهث خلفها حتى يصبح – كما يقولون – شعبياً بكل قطرة من دمه ؟

ام عاطفاً حانياً مترفقاً ، يمد يده الرحيمة القوية الى هذه الدنيا ، فيضفي عليها من بره وعطفه ، ويرفعها الى منزلة من السمو والنور والحرية ، جديرة بهذه الانسانية ، وجديرة بمنزلة الانسان سيد الحياة على الارض ، وخليفة الرحمن على هذه الحياة ؟

وهذا الخلاف لا يضطرب في دوائر الادب وحدها ، ولكن يشغل ميادين من الحياة كثيرة ، ويعود الى نقطة بداية تضرب في الاغوار البعيدة ، وتنبع من المشكلة التي تدور حول الديمقراطية ما هي ؟

اهي نزول القادة الى دنيا المحكومين ؟ ام انتشال العامة الى منزلة القادة والاندفاع بالحياة خطوات نحو السمو والكمال ؟

ومنذ قال الناس : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » واجابهم المدبر الاعظم : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » بل ومن قبل ذلك باجيال واجيال اختلفت الآراء حول هذه المشكلات .

وما زلنا نتجادل ، وسنظل نتجادل ، وان للحياة لهدفاً مرسوماً يمضي بها من حولنا ولا يعبأ بجدالنا ، لكننا مهما تجادلنا فاننا متفقون على ان الادب في ازمة نفسية معقدة يجب ان نخرج منها .

غير ان سؤالاً يبرز في هذه القضية صائحاً بنا : ما الوسيلة ؟ اهي عزل الادب لأسعافه بالعلاج الموضعي وتربيبه وتغذيته وتقويمه على طريقة تربية الابطال واعدادهم لصراع الاحداث حتى يتقوى ويشتد ، ويغدو صالحاً للاندماج في الحياة ، فندفعه

في غمارها قوياً معافى، ينتشل الحياة من آلامها، ويعينها في كفاحها؟ ام وسيلتنا ان ندمجه في الحياة منذ البداية، يتفاعل معها، فيقوى بها ويقويها، وتدافعه ويدافعها؟

ثم على اي مذهب من مذاهب الفن الكثيرة المشعبة نبدأ علاج ازمة الادب؟ الواقعية ام الرومانتيكية ام الخيالية ام المثالية ام العود الى الكلاسيكية؟

ان ايا من اصحاب هذه المذاهب والآراء التي يصخب بها تيار الفن في العالم يؤكد ان لا حياة لـلادب الا اذا انضوى تحت لوائه، ونشيء في محضنه وعولج بمبضعه، وتخرج في مدرسته.

والذي يبدو حقاً صراحاً لا يلبسه الباطل ان الادب في ازمته الراهنة بحاجة الى دماء جديدة وغزيرة من اي لون ومن كل الفصائل، حتى يصبح كياناً حياً يصلح ان يتجادل حوله اطباؤه من اجتماعيين وفلاسفة ومفكرين وفنيين واقتصاديين ايضاً.

اما ان نتركه طريحاً، ثم نذهب في جدالنا حول انفاس متقطعة فذلك حمق اهل غافلين يجنون على مريضهم المشفى.

وهنا تبدو ظاهرة عابرة لا يلبث المتأمل ان يحيلها دليلاً من دلائل النكسة الادبية عندنا، تلك ان نقادنا ومترجمينا يعدون بالمئات حين يعد ادباؤنا بالآحاد، وهو امر يدل على القعود والتخاذل والتثبيط والادعاء، يدل على ان نبت الادب ذاو ضعيف متهافت، يتسلق حوله، ويتعلق به كل طفيلي وكل دعي، بقدر ما ينبيء عن سوق كاسدة كلما حام وقد محترفون يتحلقون حول سلع هزيلة ضئيلة، يضيع في حلقاتهم صالح المنتج والمستهلك.

والحق ان ليس الادب حقلاً للنقاد يعيشون فيه بقدر ما هو روض للقراء يتنسمون من ازهاره شذى الحياة وعبير الفن.

فاذا لم يكن النقد رسول خير ووئام، ورائد تطور وتشجيع وتقدمية مندفعة للكاتب، وموقظ وعي وتجاوب وانفعال سام في القاريء — استحالت اعماله نوعاً من الوصاية التحكمية المتعسفة، ولا تنتج الا تعويقاً وعرقلة للانتاج المثمر.

ولا نعني بذلك ان يكف النقد يده عن الادب، فان السقوط والتهافت الذي نكابده في ادبنا ليس الا نتيجة لتخلخل النقد وازوراره وتنكبه — مترفعاً — عن تناول الادب وتوجيهه.

وإذن فليس لأزمة الادب حل في هذه الآونة الا الانتاج والانتاج الغزير المستمر، يتابعه النقد البناء المترفق الموجه، الذي يستغل كل المواهب، ويوجه كل الجهود، ويستثمر لصالح الادب كفاح الكبار والصغار على السواء..

هذا النقد الرفيق الهادف يؤدي مهمته في التوجيه والتسديد، فلا يقف في وجه الانتاج، ولكن ييسر له السبيل، ويعينه على الوصول، ولا مناص له من التشجيع، تاركاً الغربلة النهائية للنقد التاريخي يجيل نظرته في اطراف حقول الادب، فهو الفيصل الكفيل بأن يرصع صدر الحياة بالجواهر، وهو الحكم القادر على ان يزيف البهرج ويبعثره في التراب.

وهنا تظهر مشكلة صغار الادباء او المبتدئين، وهي تحتاج التفاتاً قوياً من الجميع، وتتطلب من المعنيين بالادب مدرسة موجهة تبرز مواهبهم التي قد لا يحسنون استغلالها او لا يحسونها في انفسهم.

وقد يحسن المشرفون على الصحف الادبية صنعاً لو نزعوا من صدور صحفهم هذه العبارة السوداء: «لا ترد المقالات لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر».

فانه لا يسيء الى الناشئين ولا يسوؤهم شيء قدر ما تهدمهم هذه الصدمة التي تجبههم بها الصحف، بقدر ما تسيء الى ذات الادب، فانها تشكك في القيمة الفنية الادبية لهذه الصحف، وتجعلها مظنة الاتجار بمستقبل الادب.

وما ضر لو قامت في كل صحيفة وكل مؤسسة ادبية هيئة للقراءة، تدرس وتلاحظ وتنقد، وترد المقالات لاصحابها، موقعة بالملاحظات الموجهة، مطالبة بالمثابرة على اساس التوجيه والتسديد، او الانصراف الى اللون الذي يسر له كل منهم، حتى يحس الناشيء بان تجاوباً بينه وبين هذه الهيئة الموقرة قد قام، في جو من التقدير، يحفزه لبذل الجهود، والكفاح في هذا السبيل الذي حلم يوماً انـه مفروش بالورود، محفوف باكاليل النصر.

ولقد كانت لنا صحف ادبية ترعرعت وازدهرت، ثم هرمت ثم اختفت وقد شيعها اناس بالرحمة، وتابعها آخرون باللعنة الا ان المترحمين واللاعنين يفتقدونها بشيء من الحسرة، فانها على علاتها قد استطاعت ان ترفع صوت الادب، وتوجه جيلاً من الادباء في حدود امكانياتها.

وعلى المترحمين اليوم ان يتموا مهمتها، ويستأنفوا جهادها في حدود اوسع كما على اللاعنين ان يشعرونا بمدى ثورتهم على القديم من هذه الصحف، ولن نؤمن بهم الا اذا لمسنا عملاً جديداً مجدياً، والا إذا قدموا لنا من نتاجهم ما يسد الفراغ الادبي المخيف الذي نعيش فيه حتى اليوم.

بقيت مهمة شيوخ الادب، وهؤلاء ينبغي ان يتجهوا بها

انعام

*

خاف الدكتور ناجي مجموعة من شعره الرائع عدا ديوانيه « وراء الغمام » و«ليالي القاهرة» فقام على تنسيقها صديقه الشاعر احمد رامي في ديوان « الطائر الجريح» الذي تخرجه دار المعارف بمصر. الا ان هناك قصائد اخرى ما زال يحتفظ بها اصدقاؤه ، ولدى صديقه الدكتور احمد موسى مجموعة من القصائد ، تلك احداها . [رضوان ابراهيم]

إيه إنعام ، والمحاسن كُثْرٌ ما لمن لم يقم بوصفك عذر
خلق الله ذلك الحسن ، لكن للذي يخلق المفاتن سرّ
سِرُّه أن كل حسن له الشعر تبيعٌ ، فالمجد حسن وشعر
وأنا الشاعر الذي قد تصبّاه فريد من المباهج نضر
أينما وجّه المُشاهدُ عينيه فسحر يتلوه سحرٌ فسحر
فمن الخد للجبين إلى العينين للثغر من معانيك سفر
ما على الحسن أن تمر حياة في تجليه او يضيّع عمر
رب حسن من الوداعة يبدو فيه عطف وفي حناياه بر
ولقد تحسب الوداعة ضعفاً ولها دولة ونهي وأمر
فمرينا إنعام من غير أمر نحن اسراك ، ما بأسرك حر
ومري الدهر يصبح الدهر عبدا واضحكي في فم المنى يفترْ
ومري الروض يصبح الروض فينان، وينمو ورد ويورق زهر
ومري الطير يسجع الطير جذلان، ويشدو غصن ويطرب وكر
ومري القلب يخفق القلب فرحان وتحنو روح ويطرب صدر
ومري الجمر يصبح الجمر كالماء وتعنو نار ويخضع جمر
ومري البحر يهدأ البحر أمواجا ويعنو موج ويهجع بحر
إيه إنعام هذه صولة الحسن التي تحطم القويّ وتذرو

فبراير ١٩٥٣ ابراهيم ناجي

اتجاهاً ديمقراطياً ثورياً ، في شيء من الايثار ، فحقول الادب فيها نبت مترعرع من حق الادب عليهم ان يجنوه وينسقوه طاقات تجمل الحياة ، وتهبها الحب والمسرة وتسير بها في طريق الخير والجمال .

كما عليهم ان يقيموا من اشواكه حراباً تحمي هذه الحياة من عادية الاضمحلال وعدوان الظلم وطغيان المادة .

وقد يخطىء هؤلاء الشيوخ إن ظنوا ان مهمتهم تكمل وهم ماضون في طريقهم الأصم، يعملون لانفسهم ، غير منصتين الى صيحات فلذاتهم التي خلفوها في احناء الحياة تطالبهم بالبقاء العزيز الكريم .

والادباء الناشئون غراس مهمل للادباء الكبار ، لكن الحياة لا تعفي الآباء ابداً من تبعاتهم قبل الابناء، وسنة الحياة الطبيعية تنادي فيهم: عيشوا اليوم لانفسكم، وغداً من اجل ابنائكم

وما الادباء الناشئون الا ابناء للادباء الشيوخ ، ألقوا بهم الى الحياة في نشوة الفن ، وفرحة الانتاج ، ثم تجاهلوهم في غمرة من الانانية الطاغية التي تصاحبهم في خريف العمر وانتكاس الحياة.

فهل يطول تنكرهم ؟ وهل تطاوعهم الحياة ؟

ان تنازع البقاء يسخر منهم ، ويمضي بركب الحياة الى قدرها المعلوم .

القاهرة رضوان ابراهيم

شقاء صغير

بقلم الآنسة امينة قطب

°°°

كانت الشمس تتوسط كبد السماء وتلقي باشعتها المحرقة الى الارض فتلهب التراب والحصى الناعم وتحيلها الى جمر مستتر . وكان الطريق الزراعي الطويل يبدو ساكناً هادئاً لا يقطع سكونه غير سير بعض المارة بين الحين والحين ، وغير النسمات التي تهب هنا وهناك وتداعب اعواد الذرة الطويلة واعواد القطن الذي لم يكتمل نموه بعد ، والتي تحد الطريق من الجانبين ، فتتمايل في كل اتجاه وتحدث اصواتاً رقيقة لينة هامسة حيناً ، وخشنة قوية احياناً . وكان الطريق يبدو كواد ضيق كثير المنحنيات لا تكاد عيناها ترى نهايته . وكثيراً ما اخافتها هذه الاصوات في المساء عندما كانت تتأخر في العودة من المطحن حتى مغيب الشمس . فقد كانت تسمع من لداتها ومن احد اقربائها ان الطرق الزراعية لا تخلو من الوحوش التي تختبىء في وسط الزرع وفي الآبار المهجورة والنواعير الخالية ، حتى اذا ما وجدت احد المارة يسير مفرداً في المساء انقضت عليه والتهمته وولت هاربة . وكثيراً ما كان خيالها الصغير يمتلىء بالصور المفزعة التي توحيها مثل هذه الاحاديث وتروح تتلفت يمنة ويسرة في هلع ، وهي تحمل المكتل المملوء بالقش واعواد الحطب الجافة كلما انفردت فترة في الطريق وابتعدت المسافات بينها وبين المارة بعض الوقت . ولكنها كانت في الصباح وفي اوقات الظهيرة تبدو اكثر اطمئناناً لأن الوحوش لا تجرؤ على الظهور في وضح النهار . فسارت مسرعة والعرق يتصبب من رأسها المثقل بما يحمل ، ومن وجهها الشاحب الذي تعلوه طبقة مزمنة من الاوساخ والغبار . غير انها ما لبثت ان احست بان قدميها تكادان ان تحترقا من سخونة التراب الذي تغوصان فيه والحصى الذي يلدغها بقسوة تكاد تمزق ما بقي من جلدها بغير جروح . فانثنت الى شجرة مورقة في احد جوانب الطريق ، والقت بالمكتل عند جذعها واسندت رأسها اليها واغمضت عينيها في اعياء . وراحت تستقبل النسمات اللينة بعد ان منعت الغصون المورقة عنها وهج الشمس الملتهب . وودت لو تبقى تحت هذا الظل فلا تبرحه ابداً ، ولا تعود الى البيت ولا الى المطحن الذي تنقل منه هذه الاعواد الجافة وتقطع بها هذه المسافة الطويلة حتى تبلغ مساكن القرية ، بعد ان تكون ساقاها قد تخلخلتا واصاب رأسها الدوار .

كانت هذه حياتها منذ عامين ، منذ بلغت الحادية عشرة ومنذ اشتغال والدها (وقاداً) في هذا المطحن التابع لأحد التفاتيش الكبيرة ، التابعة لاحد الاثرياء ممن حكمت اسرته هذا الاقليم في الماضي زمناً كبيراً . فاثرت واتسعت املاكها بالنهب والسلب . لقد كان التحاق والدها بهذا العمل حادثاً ساراً في حياتهم فرحوا له وامتلأت نفوسهم املاً ورجاء في ان يتحصلوا على قوتهم بنظام ويدخل حياتهم شيء من الاستقرار . فقد كان والدها من قبل يعمل اجيراً في فلاحة الارض مع العشرات من اهل القرية ويتقاضى عن عمله ثمانية قروش في اليوم يعود بها في آخر اليوم فلا تكاد تعنى بشيء من حاجياتهم . ولولا ان جدها العجوز يقوم بغزل الصوف على مغزل يدوي صغير ويبيعه ويتكسب منه بعض القروش ، وتقوم والدتها بتطريز (المناديل) التي تعصب بها بعض صبايا القرية ، ممن يعشن في شيء من اليسر ، رؤوسهن ، لولا هذين العملين لما وفت هذه القروش القليلة بالخبز الذي يحتاجون اليه . فهم يبلغون العشرة انفار ، عدا طفل

قصة

رضيع في شهره السادس . وكثيراً ما كان يعود والدها بهذه القروش ناقصة لان ناظر الضيعة مر عليه فوجده جالساً يستريح بين فترة واخرى من العمل فعاقبه بخصم بعض هذه القروش جزاء اهماله وكسله . وكم كان يحدث لهم هذا من الهم والارتباك ويروح كل من جدها وجدتها ووالديها يدبرون الامر لكي يتلافوا النقص الذي احدثه خصم هذه القروش من قوت يومهم وكم كانت العائلة تقاسي من الشظف عندما كان يمرض والدها بضعة ايام وينقطع من العمل وتنقطع القروش التي يتقاضاها . لقد رأت جدها يبكي في احدى تلك المرات ويستنزل اللعنات من السماء على صاحب الضيعة واجداده الذين تسببوا في فقرهم واملاقهم . بنهب املاكهم ومزارعهم ظلماً وعدواناً . فلما سكت عن بكائه وسألته مستغربة : هل كانت لهم مزارع واملاك في يوم من الايام . رأته يمصمص شفتيه ويحدق في وجهها بعينيه المغرورقتين ويتنهد في اسى ممض ، ثم ما لبثت ان قص عليها قصة اجدادها واجداد صاحب الضيعة وطرفاً من سيرة بعض حكام الاقليم ممن كانت القرية تذكر بعض فظائعهم وتروي عنهم العجائز بعض الاعمال التي تقشعر لها الابدان .. فلقد سمعت هي مرة من احدى عجائز الحي رواية اوشكت ان تطير صوابها وابعدت النوم عن عينيها ليلة كاملة . سمعت من تلك العجوز ان جدة صاحب الضيعة ، وكانت تركية الاصل كزوجها حاكم المديرية ، كانت تبعث في طلب السيدات اللاتي يتسترن على ازواجهن وابنائهن الهاربين من دفع الضرائب الباهظة والمختفين هرباً من السخرة ، وتأمر بضربهن على وجوههن ورؤوسهن حتى يفقدن الوعي ثم يرمى بهن في الخارج ، فاذا ما عدن الى رشدهن وجدن مصاغهن مسروقاً ، فيتركنه ويعدن هاربات من عودة العذاب . وكان بعض هؤلاء المعذبات يصبن بالجنون وبعضهن يصبن بالعمى لكثرة ما يضربن على رؤوسهن ووجوههن . ثم تفننت زوجة ذلك الحاكم في عمليات التعذيب فامرت في احدى المرات بقطع ثدي احدى المعذبات لانها تطاولت وتساءلت : من اين يدفعن الضرائب الفادحة ولأجل ماذا يؤخذ اولادهن وازواجهن ويرحلون فلا يعودون . ولم تلبث المرأة ان ماتت بعد ايام وتركت رضيعاً في شهره السادس . وبقيت زوجة الحاكم في بيتها ولكنها كفت عن التعذيب خوفاً من الثورة التي بدأت تشتعل في القرية . ثم نقل زوجها بعد ذلك حاكماً على احدى المديريات الاخر حتى لا يصاب بسوء ! سمعت كل هذا من العجوز فكاد صوابها يطير ومضت الى جدتها وجدها تسألها هل حقاً ما سمعت فايداه لها وقصا عليها بعض الحوادث الاخرى مما كانا يحفظانه عن ابويها ، عن ذلك الحاكم الافاك .

فلما سألت جدها في ذلك اليوم عن تلك الاملاك التي ذكر انها كانت لهم في يوم من الايام عرفت انهم كانوا في الماضي من اغنياء القرية حيث كان جدها الاعلى تاجراً كبيراً له مزارع واملاك اخذت تتناقص عاماً بعد عام تحت ضغط الضرائب التي كان يفرضها الحكام على الاملاك بحيث لا تكفي غلة الارض لسدادها فيسدد الباقي عن طريق نزع عدد من الافدنة او الحجز على شيء من الاملاك الاخرى . ثم في النهاية اجبر جدها على بيع ما بقي من ارضه بثمن بخس لكي تضم الى الضيعة الواسعة التي اقتناها (ناظر) المديرية عن طريق النصب والاحتيال .. ومنذ عرفت هذه القصة والحسرة تملأ قلبها الصغير على ثروة اجدادها التي لم ترها ولم تتمتع بها . وكثيراً ما راح خيالها يشرد فتتخيل ان ثروتهم كانت ما تزال لهم وتتخيل نفسها في ثياب نظيفة واحذية جميلة مما تسمع عنه وتراه في اقدام بعض الفتيات ممن يملك اباؤهن شيئاً من المال او العقار . ولكنها سرعان ما كانت تصحو على صوت الواقع وقسوة الحياة التي تحياها ، فكم من مرة سألت والدها ان يحضر لها جلباباً جديداً ، عندما كان ثوبها يبلى وتسمع من بعض صاحباتها الضحك عليها والزراية بها فكان ينهرها ويسب اليوم الذي ولدت فيه ويتمنى لو انها كانت ولداً ، اذن لما سأله جلباباً كما تسأله لأن الولد لا يعيره ان يلبس ثياباً ممزقة او يخرج بغير ثياب اذا اقتضى الامر . ثم يروح يطلب من الله ان يأخذها هي وشقيقاتها الاخريات ويريحه منهن جميعاً . كانت تسمع هذا من والدها فيزيد همها ولا تجد غير البكاء والصمت والانزواء عن صاحباتها اللاتي يعيرنها والابتعاد عنهن . فلما ان التحق والدها بهذا العمل راحت امها وجدها يمنيانها بثوب جديد عندما يقبض من عمله اول مرتب منتظم ، فامتلأ قلبها سروراً واخذت تقفز وتثب وتجري هنا وهناك مع اخواتها اللاتي استخفهن الفرح دون ان يدركن من الامر شيئاً حتى شقيقها الذي يصغرها باربعة اعوام والذي كان يضربهن جميعاً هي وشقيقاتها الاخريات دون ان يجرؤن على ضربه او معاملته بالمثل ، خوفاً من عقاب والديهن اللذين يعزانه ويكرمانه على حسابهن ، ويفضلانه عليهن في كل شيء ، لأنه سيحمل العبء في يوم من الايام مع والده ، حتى هذا الشقيق صالحته في هذا

اليوم ولعبت معه ونسيت عداوتها له واعتداءه الدائم عليها .. وظلت تنتظر مرور الايام بفارغ الصبر ، ولكن ما كاد والدها يقبض اجره حتى كان هناك مشروع ينتظر هذا الاجر لكي ينفذ ويساعدهم على ايجاد بعض الاستقرار في حياتهم. فقد استقر رأي جديها ووالديها على ان يشتروا بهذه النقود دقيقاً ويصنعوه خبزاً ويبيعوه فيربحون منه بعض الربح الذي قد يكون فاتحة خير في حياتهم . وانهار املها في الثوب الجديد ، وبكت يومها فنهرها ابوها وحاول ضربها ولكن جدها منعه عنها وراح يمنيها باشياء كثيرة عندما ينجح مشروعهم ويُيَسِّر الربح حياتهم. فسكتت واطمأنت وعاشت على هذا الامل الجديد . ثم كاد الوقود ان يقف عقبة في سبيل نجاح هذا المشروع ، ولكن والدها استطاع ان يأخذ تصريحاً من مدير المطحن بنقل بعض الاوراق الجافة التي تتخلف من الوقود الذي يستعمل في المطحن فكان لهذا رنة فرح في نفوس الجميع ما عدا هي ، فقد عزمت انها ستكون الحاملة لهذا الوقود من المطحن الى البيت وانها ستقطع تلك المسافة الطويلة بين المطحن والقرية على قدميها في اليوم بضع مرات . فلما ابدت تذمرها كاد والدها ان يفتك بها لولا جدها ووالدتها . واخذ جدها بعد ذلك يمنيها بان نجاح مشروعهم هذا سيكون من حظها فيما بعد لانه سيكون سبباً في تيسير حالتهم بل وربما يكون سبباً في اثرائهم واستعادة بعض املاكهم . ومنذ ذلك الوقت وهي تقوم بهذا العمل الشاق صيفاً وشتاء ، وقد اعتادته على مرور الايام وما عادت تتذمر الا عندما يقسو عليها البرد والصقيع في الشتاء ، او تكاد تحرق جلدها وتسلخ قدميها حرارة الشمس في الصيف . ولقد بروا بوعدهم وابتاعوا لها جلباباً جديداً بعد مضي شهرين من الاستمرار في بيع الخبز ولكنه كان من قماش رخيص غير الذي كانت تراه على واجهة المتجر الذي تمر عليه . وهي رائحة غادية في طرقات القرية . غير ان جدها طيب خاطرها ومناها بالثوب الذي تريد عندما تتسع تجارتهم .. وها هي الايام تمر دون ان تتحقق آمالهم التي بنوها على تجارة بيع الخبز ، وكل الذي تربحه هذه التجارة لا يكاد يفي بحاجاتهم الا بجهد جهيد . اما هي فقد كادت رأسها ان تتصلب لكثرة ما تحمل فوقها وكادت ساقاها ان تتقوسا ويتآكل جلدهما من كثرة ما تسيران ..

كانت قد غفت قليلاً وهي جالسة عند جذع الشجرة ومسندة رأسها اليها فوق ذراعها، عندما طرق سمعها صوت بعض المارة في الطريق وهم يتحدثون ، فصحت مذعورة واخذت تتلفت هنا وهناك لحظة ثم عاودها الاطمئنان عندما لم تجد هناك ما يدعو الى الخوف. ثم حملت مكتلها بعد قليل وسارت مسرعة لكي تعوض الوقت الذي فاتها وهي جالسة تستريح . وعندما بلغت البيت القت بالمكتل وانطلقت الى الماء فعبت منه حتى شعرت بقواها تخور لكثرة ما شربت ، فارتمت على الارض بجانب الجدار واغمضت عينيها ريثما تستعيد قوتها ونشاطها. ولم تشعر الا وشقيقها الصغير يهوي على قدميها الممدودتين بعود من الحطب مملوء بالشوك . فصرخت وهبت من مكانها تجري خلفه فما كان منه الا ان احتمى في حجر جدتها التي هددتها بالضرب المبرح ان هي نالته بسوء. فمضت تبكي وقد امتلأ قلبها بالحقد والغل من شقيقها وخيل اليها انها لو استطاعت ان تنفرد به لأشبعته ضرباً ولكماً ومضت الى جدها امام الباب حيث يجلس وامامه اللوح الخشبي الذي وضع عليه الخبز الذي انتشر فوقه الذباب فكاد ان يُكوّن على سطحه طبقة سوداء متنقلة . مضت اليه وجلست تشكو له من شقيقها الذي لا يرحم قدميها المتعبتين فيضربها فوقها بالعود المملوء بالشوك. ثم أخذت تقلبها وتريه بعض الجروح التي تسببها وخزات الحصى في الطريق ، وتسأله متى سوف يشترون لها الحذاء الذي وعدوها به لكي يقي قدميها الوخز

والتراب ؟ فطمأنها الى أنهم سوف يحضرونه لها في القريب ، عندما يطرد التحسن في حالتهم ثم أخذ يمنيها بأشياء كثيرة ، جعلت نفسها تهدأ وتنشرح ، وجعلت خيالها يموج بشتى الصور التي ترجوها لنفسها. وراحت تحلم بالمستقبل أحلاماً سعيدة راضية.

وفي صباح اليوم التالي صحت من النوم على مشادة بين والديها عرفت منها ان أمها تطلب نقوداً لشراء بعض الملابس الخاصة بها وتلوم والدها لأنه لا يوفر لها شيئاً من ضروراتها. وسمعت والدها يقول وهو يخرج غاضباً : « ماذا أصنع ، هل أقطع من لحمي ؟ ألا يكفيني الجهد والعناء الذي أتحمله طوال اليوم ؟ لقد كدت بالأمس افصل من العمل لأني تركت الموقد بضع دقائق وذهبت أشرب واستريح قليلا. وسمعت من الرئيس شتماً وتهكماً جعل دمي يغلي ، ولكني كتمت كل هذا في نفسي وسكت حتى لا أفصل واخرج الى الطريق ، فهناك عشرات يتلهفون على الالتحاق بمثل عملي واخذ راتبي .. » سمعت هذا فظلت جالسة في مكانها بعض الوقت وكأنها لا تقوى على مغادرته، وقد أذاب نشاطها هذا الجو النكد المليء بالهم. ثم تناولت إفطارها ولحقت بوالدها في المطحن لتؤدي هي الاخرى عملها المعتاد.

وانتهت من أدوار الصباح وبقيت عليها ادوار المساء التي ستبدأها عندما تهدأ حرارة الشمس وتخف وطأة القيظ قليلا. واحضرتها كلها الا واحداً حاولت التخلص منه والتهرب من إحضاره ، فقد كانت قد اتفقت مع صاحباتها على ان تتناول عشاءها قبيل المغرب ثم تذهب اليهن حيث يجتمعن هناك عند (المصطبة) ويتسامرن او يقمن بلعبة من العابهن الكثيرة ، فالقمر الليلة سيضيء طرق القرية الضيقة المملوءة بالاقذار ، فلا تنغرس قدم احداهن في كومة من الوحل او تصطدم في جدار او حاجز من الاحجار والرماد. كانت تبغي هذا التملص ولكن والدها امرها بالمجيء لانه يريد ان يعطيها شيئاً تحمله الى والدتها في داخل المكتل ، وسط الاعواد كي لا يراه احد. وسارت مرغمة تجر ساقيها جراً وكان قد بقي على مغيب الشمس ما يقرب من ساعتين وقد امتلأ الطريق بالمارة من الزراع العائدين ، بعضهم يحمل فأسه ومكتله ، وبعضهم يركب دابة ويسوق امامه بقية الانعام. سارت وفي نفسها حنق وهم حتى لتكاد تبكي لولا وجود المارة في الطريق ، وقد تساءلت اكثر من مرة في شيء من الحسرة : الا تستطيع ان تتخلف يوماً واحداً عن هذا العمل البغيض ؟ بل مرة من المرات التي تريدان تلعب فيها مع صاحباتها المنتظرات ؟. وتفرعت همومها واحاسيسها الصغيرة في شتى الاتجاهات فملأ نفسها الحنق لحظة على اولئك الحكام الذين سلبوا اجدادها اموالهم واملاكهم فاصبحوا بعد ذلك فقراء لا يملكون شيئاً ومن ثم نشأت هي في هذا العوز تتحمل كل هذا الجهد دون ان تجاب لها رغبة من رغباتها ، او تحصل على شيء مما تتوق اليه نفسها وتتمناه بين الحين والحين. وابطأت خطواتها وهي تتخيل في حسرة ، ان جدها واباها كانا اليوم من الاغنياء وانها كانت الآن تلبس ملابس نظيفة غالية الثمن ، وحذاء لامعاً مثل الذي رأته في قدمي ابنة العمدة وابنة شيخ البلد وغيرهما ممن يعش في بحبوحة من العيش. وسبحت في خيالها لحظات حتى نسيت نفسها وكادت قدماها ان تتوقفا عن السير. ثم عادت فتنبهت الى ان الوقت قد تأخر والشمس تنحدر نحو المغيب ، فاسرعت في الخطو حتى تعثرت قدماها اكثر من مرة في حصى الطريق.

وبلغت المطحن والشمس ما تزال تنير السماء وقد بقي على مغيبها ما يقرب من ساعة من الزمان وامرها والدها بالانتظار حتى تسنح له الفرصة ويعطيها ذلك الشيء الذي ستوصله الى والدتها. فانتظرت بعض الوقت ثم نبهته الى خوفها من الطريق لو تأخر الوقت وغابت الشمس وقل المرور فنهرها بقسوة وامرها ان تنتظر حتى يفعل هو ما يريد. فسكتت مغلوبة على امرها

خوفاً من العقاب . وجلست بجانب احد الجدران واخذت ترقب ، دون رغبة منها ، حركات والدها وهو يتبادل هو وزميله جلب الوقود من مكانه الذي يبعد عدة امتار عن الموقد ، ثم يضعه في الفوهة الملتهبة التي تلتهم كل ما يلقى اليها في سرعة مخيفة ورأت والدها وهو يبتعد بين لحظة واخرى عن فوهة الموقد ويقف على الباب الواسع الذي يتوسط غرفة الموقد ، ثم يجفف بطرف ثوبه عرقه الغزير الذي يتساقط من جبهته وعنقه فلا يلبث مكان التجفيف ان يصطبغ بلون قان وكأن طبقة من الجلد قد نزعت عنه . وما لبثت ان شعرت بشيء من الشفقة والالم على والدها . وتذكرت ما قاله في الصباح عن ذلك الجهد المضني الذي يتحمله في عمله الشاق . وخيل اليها في لحظة انها لو كانت في مكان صاحب المطحن لاعطت لوالدها وزميله اجراً كبيراً على هذا العمل المجهد الممل ! ومضت فترة اخرى من الوقت وتسلم زميل والدها العمل امام الموقد ومضى هو ينقل الاحطاب من مكانها البعيد ويضعها في المكان القريب المعد لها داخل الحجرة الواسعة . وذهبت هي خلفه عندما اشار اليها بطرف خفي . وهناك رأته يتلفت يمنة ويسرة ثم ينطلق الى حفرة في جوف الاحطاب المتراكمة ويخرج منها صرة كبيرة ويسرع بها الى المكتل حيث يضعها في اسفله ثم يضع فوقها القش والاعواد في سرعة واضطراب . وقال لها وهو يرفع المكتل على رأسها : « قولي لوالدتك تبيع هذا القمح وتشتري بثمنه الاشياء التي تريدها ثم اياك ان تتعثري به في الطريق فيراه احد فيشي بنا فيخرب بيتنا » . واحست ان الحمل قد ثقل عليها ولما تسر به بضع خطوات ، ولكنها خافت ان تكاشف والدها بهذا خوفاً منه واسرعت به صامتة وقد علا وجهها الشقاء والهم .. وراح الحمل يثقل عليها كلما سارت في الطريق خطوات حتى احست في لحظة ان رقبتها سوف تنفصل ان لم ترفعه من فوق رأسها وتريحه قليلاً فجلست في جانب من الطريق والقت بالحمل الثقيل الى الارض واخذت تنتظر مرور احد من الناس لكي يساعدها على حمله من جديد . وبعد قليل اقبل رجل مسن يحمل على ظهره بعض ادوات الزراعة وينوء بها ، ولكنه ساعدها على رفع الحمل عندما طلبت منه هذا ، وقد رمش لها وحثها على السير السريع قبل ان يقبل الظلام ، ثم مضى من طريق آخر متفرع من هـــذا الطريق . وبلغت ثلاثة ارباع الطريق الى البيت ثم احست بان رأسها لم يعد يقوى على الثقل الذي فوقه ولا بد له من الراحة فترة اخرى . فجلست والقت مرة ثانية بما تحمل على الارض في اعياء واسندت رأسها على مرفقها . وكانت الشمس في هذه المرة قد قاربت المغيب ولم يبق من اشعتها غير خيوط متناثرة في الافق البعيد ..

واخذت تنتظر مرور احد آخر لمساعدتها ، والهم يغمر وجهها الشاحب ونظراتها الذابلة . وما لبث الحنق ان ملأ نفسها على كل شيء وتساءلت في غيظ : ما بال والدها لم يرحل الى المدينة ويشتغل هناك كما فعل والدا صاحبتيها عزيزة وزينب ليعود بعد سنوات غنياً ، فيستأجر أطياناً ويزرعها ويحصد زرعها ؟ ان أبا كل منهما يزرع فدانين كاملين وكل منهما تذهب في الصباح الى حقل والدها وتظل هناك حتى المساء ، لتعود مع اخوتها وهي لا تخشى ان يخرج عليها من وسط الزرع وحش يلتهمها او ينهش احد اطرافها . ثم ان كلاً منهما تملك جلبابين وشالاً يقيها البرد في الشتاء ويمنع عنها حرارة الشمس في الصيف اما هي فلا تملك غير هذا الجلباب وليس لديها غير طرحة بالية ممزقة الأطراف ، ثم هم لا يملكون حقلاً ولا زرعاً .

وايقظها من خواطرها الساذجة البائسة صوت اعواد الذرة وهي تهتز تحت وقع النسمات ، فهبت واقفة في ذعر وحدقت في الاعواد واجفة القلب . ثم تلفتت الى الطريق لعلها تلمح احداً مقبلاً من بعيد ، ولكن الطريق بدا مقفراً صامتاً بعد مغيب الشمس وكأنه لم يطرقه من قبل إنسان ! وارتجفت نفسها وهلع قلبها الخائف الوجل ، وخيل اليها ان احداً من الناس لن يمر بعد الآن ، فقد تأخر الوقت وعاد كل مزارع الى بيته قبل الغروب . وهي لن تستطيع ان تضع الحمل فوق رأسها بغير مساعدة ولن تستطيع تركه لأن والدها سيضربها ضرباً أليماً بعد ان يوثقها بالحبل الغليظ . وهو لن يعود من المطحن الا بعد العشاء بمدة طويلة ، اذن فستبقى هنا حتى يأتي اليها احد او يخرج عليها ضبع او ذئب يلتهمها عندما يجدها وحدها في المكان ..

واختلجت عضلات وجهها الذي ازداد شحوباً ، وزاغ بصرها وهي تتلفت في كل مكان باحثة عن معين . وصل اذنيها صوت الضفادع وهي تنق في الماء من بعيد فتزيد الجو وحشة وتوحي بالهواجس المفزعة . ثم ما لبثت ان اخذت تبكي ، واخذ صوتها يعلو شيئاً فشيئاً في النحيب .. وتلاشى بين اهتزاز الاعواد ، صدى صوتها الخائف ونحيبها الحزين ..

القاهرة — امينة قطب



لكيلاني حسن سند

عضو الجمعية الادبية

•

القاهرة

لِمَ جئتَ ، عُد من حيث جئتَ ، ولا تعُد أبداً ، إليّا
لم جئت ، توقظ لعنتي ، وتصبُّ جـام الحقد ، فيا
لم جئت تضحـك ـ والدموع ـ تكاد تأكل ، مقلتيا
لم جئتني ، متحدّيا ، لتعيـد أمسي ، في يديا
لملم عطورك وانطلق ، أنا لم أزل ظِـلّاً شقيا
حيران ، يضرب في الوجود ، وليس يملك فيه شيّا

*

يا للطـريق ، أمام عيني يستطيـل ، بلا نهايه
أضواؤه المتراعشـات ، تطل نحوي في زرايه
وأنا ، هنا متخبّط ، أمشي ، بلا هـدف ، وغايه
أمشي ، كأني نحلة ، حمقاء ، تضرب في عمايه
يا للحيـاة ، تصدُّني ، وتقيئني ، أأنا ، نفـايه
أأنا يغفلني الدجى والنـور يهرب من خطايه

*

أأنا ، هنا ، في الساحة الكبرى وفي هذا المكانِ
أمشي فتعثر خطوتي بالساهرين ، بلا أمـاني
أجفانهم مشدودة نحـو الثرى ، ممـا تعاني
ورؤوسهم محنيّة ، مـلأى بأخيلة الهوان
جفّت ثمـار حياتهم وتساقطت قبـل الأوان
وتبعثرت أحلامهم ـ مخنوقـة ـ بيـد الزمان
حضنوا التراب ـ لعلّهم ظنّوه مقبرة ، الحنان

*

يا ليل مُدَّ عليهمُ ، ظِـلَّ السكينة والوداعه
يا ليل ، لا تدع الضياء عليهمُ ـ يُلقي شعـاعه
يمحو الظلام فتنجلي جثث مبعثرة ، مضـاعه
يا ليل واسكب في الكؤوس ، كؤوسهم ، خمْر القناعه
رقرق خيالك ـ في العيون ـ وأنسهـا ذل المجاعه

*

يا ليل ، منذ سنين كنتُ ، وكان لي كالناس ـ عِيدْ
ارأيتني ، ارأيت طفلًا ، كان يمرحُ في الصعيد ؟
في الفجر يفتح مقلتيـه ليلبس الثوب ، الجديد
ويحسُّ راحة أُمـه ، لمسْته في شوق عنيد
تدعو وتلحف في الدعاء ، تقول : عش عمرا ، مديد
ولّى الصغير وعيده ـ مضيا الى الشطّ البعيـد
لم يتركا في راحتي شيئـاً سوى الأمـل ، الوئيد
وجراح قلب كلما هدهدتهـا ، نزفت ، صديد
يا ليل أين مضى الصغير ، ألا يعودُ .. ألا يعود ؟

معالم القصة الروسية الكلاسيكية

بقلم فرجينيا وولف — ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

غالباً ما نشك فيما اذا كان الفرنسيون او الامريكيون يدركون الادب الانكليزي حق الادراك ، مع ما يربطنا بهم من اواصر ووشائج متنوعة متعددة ، ووطأة شكنا تعنف اكثر بشأن فهم الانكليز للادب الروسي. وذلك بالرغم منا ، ومع حماستنا البادية علينا في هذا الصدد. قد يطول الجدل في المقصود بكلمة (فهم) من غير نهاية. ومن ذلك ان من الكتّاب الامريكان من كتب عن ادبنا وعن انفسنا باسلوب رفيع شائق ، ويجوز ان الكثيرين من هؤلاء قد عاشوا بين ظهرانينا واختلطوا بنا وسايرونا في مجرى الحياة ، وربما اتخذ بعضهم الخطوات الشرعية ليصبحوا رعايا الملك جورج . ومع هذا كله ، هل فهمونا ، ام انهم ظلوا غرباء الى خاتمة ايامهم ؟

وهل يعتقد اي منا بان روايات وليم جيمس ، كتبها رجل عاش في مجتمع فوصفه ، او أن كتاباته النقدية للكتاب الانجليز حبرها رجل درس شكسبير ، من غير الشعور بالمحيط الاطلسي والاحساس بمئات السنين التي تفصل حضارته عن حضارتنا ، صحيح ان الغريب يمتاز بدقة خاصة ، ووعي عميق الغور ، وادراك بعيد النظر ، وانعزال مثير ؛ ولكن الشيء الذي يعوز الغريب هو فقدان الحس الذاتي ، ويسر المواطنـــة ، والشعور بالقيم العامة . وهذه الاشياء جميعاً تحمل الناس على الصداقة وصفاء الذهن وسرعة الاختلاط والامتزاج .

ليست هذه الاشياء هي التي تفصلنا عن الادب الروسي حسب. بل يحجبنا عن هذا الادب حاجز شائك آخر هو اختلاف اللغة وتباين البيئة . ومن العدد الوفير الذي اضافته مائدة تولستوي ودوستويفسكي وتشيخوف ليس غير واحد او اثنين او عدد لا يتجاوز اصابع اليد يسعه قراءة هؤلاء الكتاب باللغة الروسية .

ان تقديرنا لميزات الكتاب الروس جاءنا عن طريق النقاد الذين لم يقرأوا كلمة روسية واحدة ، ولم يروا روسيا ليستمعوا لكلام مواطني تلك البلاد . ومن هنا فان النقاد استندوا الى عمل المترجمين ضمناً وبغير بصيرة ومن غير مناقشة .

وما نقوله لا يعني غير حكمنا على ادب باسره بعد ان جردناه من اسلوبه. فانت حين تغير كلمة في جملة بنقلك اياها من الروسية الى الانكليزية ، تكون قد بدلت المعنى قليلاً ، اما الصوت والوزن واللهجة ، في صلاتها مع بعضها ، فقد تغيرت جميعاً تغييراً تاماً. ولم يبق الا نسخة من الشعور الاصيل ، بعد ان اصابتها الخشونة والفظاظة. وبمعالجة الكتاب الروس العظام على هذه الشاكلة ، نكون قد جردناهم ، ليس من البستهم حسب، بل من شيء اهم من ذلك. اعني — عاداتهم وامزجتهم وتقاليدهم — كأن ذلك جرى بتأثير صاعقة او حادث مؤسف. وما تبقى بعد ذلك كله شيء على اشد ما يكون من القوة والاثارة ، وهذا ما يثبته الانكليز بتعصبهم لاعجابهم. وبالنظر لهذه التشويهات ، فهل يسعنا الثقة بانفسنا باننا لا ننتقص من قدر ما نقرأه او نعبث به ؟ او ليس توكيدنا نفسه فيه كثير من الزيف ؟

قلنا إن هؤلاء الكتاب اضاعوا ملابسهم في حادثة مفجعة ، ذلك بان شبحاً يمثل الادب الروسي — يصف البساطة والانسانية — يهبط من عليائه ليطل علينا ، بعد ان اصابه الذهول ، وبعد ان وضع غرائزه في قناع خاص .

قد يكون مرد هذا: الترجمة ، او ما له صلة بسبب مهم آخر (وهذا ما لا يمكن أن نقطع به) .

وهاتان الميزتان ، اعني — البساطة والانسانية — منتشرتان بجلاء على صحفات ما دبجه كبار الكتاب وصغارهم على حد سواء ،

انظر الى ما يقوله احدهم: « تعلموا اسلوب التقرب الى الشعب، ولكن لا تجعلوا هذه المشاركة عقلية، لانها تكون عندئذ هينة يسيرة بخسة الثمن. بل اجعلوا هذه المشاركة على اشد ما تكون ارتباطاً بالقلب واتصالاً بالوجدان، من اجل ان يشمل حبكم الشعب كله ». واذا صادف وسمع احدنا هذه العبارة لقال حالاً « انها روسية لحماً ودماً ».

فالبساطة واليسر في التعبير، وانتفاء الجهد والصناعة، والاعتقاد بان العالم يضج بالبؤس وينضح بالتعاسة والشقاء والدعوة لفهم اخواننا المعذبين في الارض « ليس عن طريق العقل » بل عن طريق ادراك هذه الاشياء جميعاً. وهذه الاشياء نفسها هي الشحنات التي تملأ غمائم الادب الروسي بقوتها، فتحولها الى غيوم فيها من العواصف هديرها وصخبها، وفيها من الغيث رقته ولطفه ونعمته. وهذه الغيوم هي التي تغوينا لنخرج من بيائنا المحرق، وحرنا اللافح، ومشاغلنا التافهة، لتلفنا بظلالها، ولكن خروجنا هذا سيفضي بنا حتماً الى نتائج مرعبة لم نكن لنتوقعها. فنصبح مرتبكين يثيرنا شعورنا بانفسنا، متنكرين في ذلك لقيمنا، ومن هنا كانت كتاباتنا عن البساطة والصلاح مشوبة بالتكلف والتصنع، وهذا ما يخلق فينا روح الاشمئزاز والنفور في اشد صورهما مقتاً واستهجاناً.

ولنضرب لذلك مثلاً كلمة (أخ) فهي لا تنطلق من افواهنا بيسر وبساطة وقناعة. ومن ذلك ان غالزوردي جعل احد اشخاص رواياته يستخدم هذه الكلمة في حديثه مع صديقه (مع ان الاثنين يتمرغان في اعماق البؤس). وعلى اثر صدور مثل هذه الكلمة توتر جو الرواية وغدا كل شيء متكلفاً. فالكلمة الانكليزية التي تماثل كلمة (أخ) هي (زميل) وطبيعي ان تكون الاخيرة مختلفة عن الاولى اشد الاختلاف. اذ فيها شيء من التهكم، وما يشير الى المزاح والدعابة. نعود الى الشخصين اللذين تضمهما اعماق البؤس. فماذا نرى؟ هذين الانكليزيين اللذين يلازم احدهما الآخر، وقد وجدا عملاً، فصلحت حالهما وشرعا في جمع ثروة، وبعد ان يجمعا مالاً وفيراً يقضيان اواخر حياتهما في رغد من العيش وبحبوحة من الهناء، ثم يخلفان قسماً من مالهما ليمنعا الشياطين الصغار عن نشر دعوة الاخوة بينهم. ومن هنا فان الالم المشترك، لا السعادة المشتركة او الجهد او الرغبة، هي التي تدعو الى الاحساس بالاخوة. وعلى هـذا (فالحزن) العميق كما يقول الدكتور، هانبرغ رايت، هو الطابع المميز للشعب الروسي، وهذا هو الذي يحمله على ابداع ادبه الخاص به.

وطبيعي ان هذا التعميم، مع وجود كثير من الصواب فيه، لا ينطبق على الادب جملة واحدة. بل هو يتغير من الاساس اذا عالج الادب انسان عبقري. وفي الحال تبرز اسئلة اخرى. ومن الملاحظ ان هذا (الموقف) لا يظل بسيطاً، لان التعقيد والتشابك يتدخلان في الامر. فالناس الذين تمزق الصدمات ملابسهم واخلاقهم يصيبهم الذهول، فيقولون اشياء صعبة، قاسية، عنيفة، بشعة، حتى ولو كانوا يلفظونها ببساطة وسهولة، وبغير التزام على حسب ما تفرضه المآسي عليهم. ولذا فاول انطباعاتنا عن تشيخوف تبدو في حيرته وليس في بساطته فما هي الغاية من الحيرة؟ وما هو السبب الذي يجعله يخلق منها قصة؟ هذا ما يتبادر الى ذهننا كلما قرأنا له قصة.

هاك احد الامثلة من اسلوبه: — يقع رجل في حب امرأة متزوجة، ثم يتنافران، وبعدها يلتقيان، وفي الختام يتركان وحدهما ليتحدثا عن موقفهما من الحب، وعن الاسباب التي تحررهما من « هذه الرابطة التي لا تطاق » فيسأل الرجل « كيف؟ كيف؟ » بعد ان يشد على رأسه.. « فيظهر حل بعد فترة وجيزة، ومن ثم تبدأ حياة باهرة جديدة » وهذه هي النهاية. ثم اليك نموذجاً آخر: — حدث ان اصطحب احد سعاة البريد تلميذاً الى المحطة. وفي الطريق حاول ذلك التلميذ مكالمة الساعي الا انه خاب في محاولته، اذ التزم الساعي الصمت من غير ان ينبس ببنت شفة. وفجأة قال الساعي: « ان اصطحابي لاحد الناس مع رزم البريد يخالف للقوانين المرعية ». ومن ثم يتمشى الساعي في العربة وعلى وجهه علائم الغضب. « مع من كان هذا الرجل منزعجاً؟ » أكان ذلك مع الناس ام مع الفقر ام مع ليالي الخريف؟ » ومرة اخرى يسدل الستار على هذه القصة. ولكن اهي النهاية حتماً؟ كلا، انما الذي نشعر به هو تخطينا للحدود المرسومة، كأن في الامر نغمة نافرة.

نقول ان هذه القصص بحاجة الى خاتمة، ومن هنا نبدأ في نقدها، استناداً الى ان القصص ينبغي لها ان تنتهي بخاتمة يسعنا ادراكها. وبهذه الوسيلة نثير اهليتنا كقراء. فحيثما تكون النغمة مألوفة والنهاية مؤكدة — كأن يلتقي الاحباء وتفضح المؤامرات ويلقى الانذال جزاءهم — كما هي الحالة في الرواية في العهد الفكتوري، عندئذ قلما نشط عن الطريق السوي

والنهج القويم ، ولكن عندما تكون النغمة غير مألوفة ، وتكون الخاتمة علامة استفهام او مجرد استمرار لسرد اخبار معينة ، كما هي الحال مع شخصيات تشيخوف يصبح من المتعذر علينافهم الامر على حقيقته ، الا اذا كانت لدينا الجرأة الكافية والحس الدقيق لتذوق الادب ، حتى يكون في مقدورنا سماع النغمات فيما تنسجم فيه من الالحان . ولعل من الخير لنا ان نقرأ كثيراً من القصص قبل ان نشعر بما يراد منها ، وهذا الشعور ضروري من اجل ارضاء احساسنا . وحينئذ يتيسر لنا جمع شمل الاجزاء المتناثرة ، حتى ندرك ما كان يصنعه تشيخوف ، فنفهم الوحدة في عمله ، ونعلم ما رغب فيه من اثارة هذه النغمات ، كان المقصود منها هو اكمال المعنى الذي استهدفه في نتاجه برمته . اذ علينا ان نرمي بشبكتنا في عرض هذه القصص الغريبة لنصطاد المعاني في اماكنها الملائمة .

وكلمات تشيخوف تقودنا في الاتجاه الصحيح ، حيث يقول : « ان هذا الحديث بيننا لم يفكر فيه اسلافنا . فآباؤنا لم يطيلوا الكلام ليلا ، وانما كانوا يسلمون انفسهم الى سلطان الكرى ، اما نحن -- اقصد جيلنا -- فنومنا رديء لا راحة فيه ، ولكننا نتكلم كثيراً ، مجربين دائماً حل مشكلاتنا ، عاملين جهدنا على استصواب بعض الحلول وتخطئة غيرها » . ان ادبنا في حقل السخرية الاجتماعية والضبط النفساني ، ينبع من ذلك النوم القلق الرديء ، وذلك الكلام الذي لا ينتهي عند حد .

غير ان الخلاف واسع بين تشيخوف وهنري جيمس ، وبين تشيخوف وبرنارد شو ، وبديهي ان تشيخوف يشعر هو ايضاً بشرور الحالة الاجتماعية ومظالمها ومهازلها ، فترعبه حالة الفلاحين ، غير ان ما يعوزه هو حماسة المصلح ، فهذا ليس من شأنه . ومع هذا ، فليست هذه إشارة لايقافنا عند هذا الحد ، لان ما يهمه هو الذهن البشري بالدرجة الاولى . ومن هنا

يعد بحق احسن محلل للصلات الانسانية واعمقهم ادراكاً لها . ومرة اخرى كلا ليست النهاية هنـــا ، ولكن اين ؟ اهي في عدم اهتمامه بصلات الروح بغيرهـــا من الارواح ، ام هي باتصال الروح بالصحة ؟ او بكلمة اخرى بما له علاقة بالصلاح والاستقامة . ان هذه القصص ترينا شيئـاً من التكلف دائماً ، بالاضافة الى الوقفات المصطنعة والكثير من التسيب الخلقي . فثمة امرأة تتصل برجل اتصالاً مزيفاً ، وهذا رجل شوهته احواله الخبيثة . وحينئـذ يسعك الشعور بهـذه الروح الهالكة وتلك الناجية ، وهـــذه التي لم تتمكن من التغلب على عللها . وهذه هي الظواهر التي يؤكد عليهـــا تشيخوف في قصصه .

ومتى ما اعتادت العين رؤية هذه الظلال تبددت «النتائج» في الهواء الشفاف – فتظهر زاهرة زاهية تتلظى بالنار والنور ، مع سطحيتها وفجاجتها . وهذا يجعل التماسك في آخر فصل غير ذي موضوع ، فيه سذاجة وخشونة . حتى اذا كان الامر يتعلق بالزواج او الموت او بتقدير القيم ، وهي تلك الاشياء التي طالما طُبّل لها ، وطالما عزي لها الاهتمام البالغ الحد . وهذا ما يحدو بنا الى الشعور بعوزنا الى الحلول مثل عوزنا الى التماسك الذي يربط بين اجزاء القصص . ومن جهة اخرى يبدو الاسلوب تلقائياً لا خواتم له ، ولا اهتمام الا بالتوافه . اقول يبدو هذا الاسلوب بهكذا صورة لانه نتاج ذوق مشرق جميل متأنق ، يعرف كيف يختار بشجاعة ، وكيف يرتب ما يختاره من غير هفوة او زلة ، كل ذلك يجري وفق ما تتطلبه النزاهـــة ويقتضيه الاخلاص . وهذا ما لا نجده عنـــد غير الروس من الكتاب .

ربما جدّت هنا بعض الاسئلة التي قد لا نعثر لها على اجوبة ، ولكن دعنا الآن من الشواهد الموائمة لذوقنا ، ففي ذلك اذى لا داعي له . صحيح ان هذه القصص لا تستميل آذان الجمهور ، فهي قد اعتادت الموسيقى ذات الصوت المرتفع ، والاوزان الشديدة ، إلا ان تشيخوف سجل النغمة التي سمعها بأمانة من غير الالتفات الى احد . ثم دعنا نفكر في هذه القصص القصار التي تتحدث عن لا شيء ، ومع ذلك فهي توسع افقنا وتزيد من قوة الروح بشعورها المدهش بالحرية .

ان قراءتنا لتشيخوف تجعلنا نكرر كلمة (روح) المرة تلو الاخرى . فهي منتشرة على صفحات كتبه ، يستعملها المدمنون المسنون بكل حرية . فانت تسمع قولهم مثلاً « انت في وظيفة رفيعة يا بني ، ولكنك لا تملك روحاً حقاً .. اذ ليس فيك قوة ولا عزيمة » .

والحق ان الروح هي الظاهرة البارزة في الرواية الروسية فهي رقيقة عاقلة لدى تشيخوف وهي عميقة شامـــلة عند دوستويفسكي ، مع انها عرضة لعدد لا يحصى من الهزات الفكاهية والامزجة المرتبكة . وهذا ما يحملها على ان تكون طعمة للامراض الشديدة الوطأة ، والحمى العاصفة ، ومع هذا تظل الشغل الشاغل له ، وربما كان هذا هو السبب الذي يجعل القارىء الانكليزي بحاجة الى جهد شديد لمطالعة « الاخوان كارامازوف » و « الممسوسون : The Possessed » مرة ثانية لان « الروح » غريبة عليه ، اذا لم نقل انها مكروهة لديه اذ لا تملك الا ايسر الاحساس بالفكاهة مع انعدام الهزل تماماً . انها لا شكل لها ، وليس لها الا اوهن الصلة بالعقـــل . فهي مرتبكة ، صخابة ، واهنة متعثرة ، مع انها تبدو مذعنة لضبط المنطق ونظام الشعر .

ذلك بان روايات دوستويفسكي ما هن الا دوامات هائجة ، وعواصف رملية جوالة ، وينابيع متدفقة تهدر وتغلي ثم تزدردنا جملة واحدة . فهي تتألف من « مادة » الروح التي لا تشوبها شائبة . انها تسحبنا بالرغم منا ، فتأخـــذنا سورة الدوران ، ويصيبنا العماء فنختنق وفي الوقت نفسه تمتلىء قلوبنا بالفرح والانشراح . وليس من قراءة اكثر اثارة للنفس من مطالعة دوستويفسكي ، هذا اذا استثنينا شكسبير . ومن ذلك مثلاً انك اذا فتحت باباً فستجد نفسك في غرفة مكتظة بالقواد الروس ، واساتذة هؤلاء القواد وبناتهم وذوي قرباهم وحشد من الناس يتكلمون باعلى اصواتهم ، وذلك كله يدور في فلك حياتهم الفردية .

ولكن اين نحن ؟ ولذا ينبغي للروائي ان يخبرنا عن مكاننا أنحن في فندق ، او في شقة او في بيت مستأجر ؟ الا ان هـذا الروائي يأبى ان يفكر في تفسير ذلك . لاننا ارواح معذبة ، شقية ، ليس من شيء يشغلها غير الكلام ، والاعتراف ، واظهار المساوىء . نحن مدفوعون لتمزيق اشلاء بعضنا بعضاً ، وتحطيم اعصابنا جميعاً ، وذلك كله من اجل سحب الخطايا الزاحفة في اعماق نفوسنا . وحالما نستمع الى هذه البيئة الصخابة تقل وطأة ارتباكنا تدريجياً . اننا الآن في الاعماق واذا بجبل يُرى الينا

فجأة ، فنمسك بحبل النجاة هذا ، ثم نصك عليه باسناننا في لهفة وشوق . وبعدها نندفع في الماء بوحشية وحمية ، ونستمر في اندفاعنا غير هيابين ولا وجلين . نحن نغطس تارة ، ونرفع رؤوسنا من الماء تارة اخرى ، وبعد ذلك كله نشعر بلحظة من عمق الادراك لم نحظ بها من قبل . انها لحظة الوحي والالهام التي لا يسعنا عرفان جميلها الا بضغط الحياة في اشد حالاتها وفرة وامتلاء .

صحيح ان الناس هنا يجتمعون في رولتنبرغ، وان (بولينا) منصرفة الى مؤامرتها مع المركيز دي غرو — وصحيح ان هذه الصلات تافهة لا اهمية لها ولا قيمة اذا قيست الى الروح ! اذ ان الروح وحدها هي الجديرة بالاهتمام ، فعاطفتها وصخبها وجمالها وقبحها . كل ذلك يجعلنا نلتفت الىما لهذه الاشياء جميعاً من قدر ووزن . واذا ما ارتفعت اصواتنا واتخذت شكل ضحك صاخب ، واذا ما هز انيننا المفجع اوتار وجودنا بشدة فما العيب في ذلك، أليس الامر طبيعياً ؟ ان البيئة التي نعيش فيها واسعة كل السعة ، حتى ان الشرر يتطاير من عجلاتنا كلما هممنا في التحليق في الاجواء . ثم ان السرعة كلما ازدادت بهذه الوسيلة اصبح في الامكان رؤية عناصر الروح ، ليس في انفصالها ، كما في الفكاهة او في مشاهد العاطفة ، على حسب ما تريد ادراكها اذهاننا الانكليزية البطيئة الحركة . بل في ذلك المنظر الشامل المرتبك ، المشدود بعضه ببعض .

وفي وسط هذا المشهد يبدو الذهن الانساني جلياً رائقاً صافياً. اذ تلتحم التقسيمات القديمة ، فتشكل وحدة متجانسة منسجمة ، فيغدو الناس فجاراً وقديسين اطهاراً ، وتصبح اعمالهم جميلة وكريهة في الوقت نفسه ، وعندها نحب ونكره في الوقت عينه . فينعدم بذلك الحاجز القديم بين الخير والشر ، ويتغلب علينا الشعور بالحب تجاه اكبر المجرمين ، ويثير شفقتنا اشد الخطاة انحطاطاً وتردياً ، وقد يتحول هذا الحب الى اعجاب وتقدير .

ان القارىء الانكليزي المدفوع الى قمة الامواج ، بعد ان اصابه ما اصابه من صخور القعر ، حري به الا يشعر بالراحة والهدوء ، لأن (العملية Process) التي اعتادها في ادبه انقلبت رأساً على عقب ، فنحن اذا اردنا — في ادبنا — ان نقص حكاية غرام وقع ضحيتها (جنرال) معين ، ينبغي لنا اول الامر ان نستصعب المسألة ، ثم لا بد من الضحك من مثل هذا الجنرال ،

ومن ثم يجب البدء ببيئته لوضع معالم بيئته وما يحيط به . وبعد ان يتم ذلك كله نعالج قضية الجنرال نفسه. ثم ان البيئة الروسية تختلف عن البيئة التي تسود انكلترا ، فالوقت عندنا ضيق ، والبلاد مكتظة بالنفوس ، فما يؤثر فيهم لا تأثير له فينا ، سواء أكان ذلك في حقل النشاط الفكري ام في شتى مناحي الحياة . ومن ذلك مثلاً ان مجتمعنا منقسم الىطبقة واطئة ، ومتوسطة وعالية . وكل من هذه الطبقات لها عاداتها وتقاليدها الخاصة وحتى لغتها الخاصة بها الى حد ما . وسواء أرضي الروائي ام لم يرض ، فانه واقع تحت تأثير هذه الطبقية في مختلف صورها . اذ عليه ان يعترف بهذه الحدود . وعليه فالنظام مفروض عليه بشكل من الاشكال ، وهذا ما يحدو به ان يستخدم السخرية اسلوباً ، بدلاً من الاشتراك بالعطف المتبادل والمساهمة في المشاركة الوجدانية . ثم ان عليه ان ينقد المجتمع عوضاً عن فهم افراد هذا المجتمع فهماً سليماً .

تخلص دوستويفسكي من هذه التحديدات بأسرها. فلا فرق عنده بين ان تكون سيداً نبيلاً او انساناً ساذجاً بسيطاً ، او بين ان تكون افاقاً متشرداً او سيدة رفيعة الشأن . فكن ما تريد ان تكونه ، فانت لست الا اناء يتجمع فيه هذا السائل المختلط ، المعبر ، الثمين ، الذي هو زبدة الحياة ، ومادتها النابضة بالحركة ، اذ انك انت الروح. وطبيعي ان هذه الروح لا تحدها حواجز ، لانها تسيل وتفيض ، ثم تمتزج بغيرها من الارواح.

ولنضرب لذلك مثلاً قصة كاتب المصرف ، الذي يعجز عن توفية ثمن قنينة من الشراب . فنحن ، قبل ان نعرف ما هو حادث ، نرى الفكرة تتسع فتشمل حياة حميه ، ونساء حميه الخمس اللواتي يعاملهن معاملة بشعة ، ثم تتوسع الفكرة اكثر من ذلك فتتصل بحياة ساعي البريد ، والغسالة ، والاميرات اللائي يعشن في الشقة نفسها . وذلك كله ، لان دوستويفسكي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في نطاق نشاطه ، وحين يدركه الاعياء ، لا يتوقف بل يمضي قدماً في مسعاه من غير انقطاع . ذلك بان قوته لا تحتمل التحديد . كيف لا يكون الامر كذلك ، وهذه الروح الانسانية الحارة تتعثر بنا، وهي مدهشة مرعبة ، مثيرة ، مستبدة .

وبعد هذا كله ، علينا ان نلم إلمامة عابرة باعظم الروائيين طراً ، كيف لا تكون الحال كذلك ، اذ ماذا ندعو مؤلف

(الحرب والسلم) إن لم ندعُه بهذا اللقب؟ وبعد هل ان تولستوي غريب صعب ايضاً ؟ وهل من غرابة في اتجاهه الفكري، تجعلنا بعيدين عنه ، في شك وارتياب؟ ام اننا اصبحنا تلامذة فحسب وبذا نكون قد اضعنا استقلالنا الشخصي؟ ومن كلمات تولستوي الاولى ، في قدرتنا التأكيد على شيء واحد على الاقل ، وهو ان هذا الرجل يرى مـــا نراه ، ويتقدم كما تعودنا ان نتقدم ليس من الداخل الى الخارج بل بالعكس . فهنا عالم يُسمع فيه صوت ساعي البريد وهو يطرق البـــاب ، في الساعة الثامنة ، وحيث يستسلم الناس الى الرقـــاد بين العاشرة والحادية عشرة .

هنا رجل لا صلة له بالوحشية ، فهو ليس ابن الطبيعة ، بل هو انسان مثقف ، حائز على مختلف التجارب . هو واحد من هؤلاء الارستقراطيين الذين استغلوا امتيازاتهم اقصى استغلال وهو مدني ابعد ما يكون عن روح القروي . ترى ذلك في احساسه وعقله اللذين يمتازان بالدقة والقوة وحسن النشأة وسلامة التربية وهذا ما يجعل لهجوم هذا الانسان على الحياة — بذهنه وجسمه — تلك القوة المتكبرة الرائعة . فلا يبدو شيء يسعه الافلات منه فكل شيء مسجل مرقوم . ومن هنا يظهر وهن اي كان بالقياس الى مقدرته في نقل الاحساس الرياضي ، وجمال الخيول ، والرغبة العارمة في العالم ، وهذه هي الاشياء التي يعلق بها الشباب بقوة وعنف . فقوة جاذبيته تأسر كل كبيرة وصغيرة فهو يلحظ زرقة سترة الطفل ، او حمرته ، وهو يرقب حركة الحصان حين يحرك ذيله ، ويستمع الى صوت السعال واهتزازاته وظل الشخص حين يضع يديه في جيبه .

وكل هذه الحركات التي لا تلفت النظر كثيراً يستغلها ذهن تولستوي فيرجعها الى شيء مستخف في دخيلة نفوس (شخوصه) ومن اجل ذلك في قدرتنا التعرف على مثل هؤلاء الشخوص في حركتهم الواقعية ، وليس في طريقة حبهم او في نظراتهم في في السياسة او خلود الروح . نجد ذلك حتى في الترجمة ، فاننـــا نشعر فيها وكأننا واقفون على قمة جبل وبايدينـــا (الناظور) نوجهه الى حيث نريد . فكل شيء مدهش صريح حاد . ثم اننا نجد انفسنا في حالة تمكننـــا من التنفس بحرية وفخر شاعرين بالنقاوة والصفاء .

ولكن تفصيلاً يسيراً ، ربما يجعل رأس الانسان يتطلع علينا من الصورة باسلوب مرعب ، كأنه اندفع من مكانه بقوة اندفاع الحياة نفسها . هذا ما نراه في مشاعر (ماشا) حين تواجهنا بهذه الكلمات « جرى لي حادث عجيب فجأة : فاولاً لم اعد ارى ما حولي ، ثم بدا وجهه يتلاشى ، حتى لم يبق الا العينان وهما تلمعان حيال ناظري ، وبعدها ظهرتا وكأنهما اخذتا مكانهما في رأسي ، ثم اصبح كل شيء مرتبكاً مشوشاً ، فعسر عليَّ رؤية اي شيء ، حتى حُملت على إغماض عينيَّ ، من اجل ان اتمكن من الخلاص من الخوف والغبطة اللتين اثارتهما فيَّ نظرته الحادة النفـــاذة وقوته العجيبة » . (سعادة الاسرة) .

اذن يغمض الانسان عينيه ليهرب من الشعور بالرعب والغبطة وغالباً ما تكون الغبطة هي الراجحة في الاهمية . وفي هذه القصة وصفان ؟ احدهما يشير الى فتاة تمشي في الحديقة بصحبة صديق لها ، في اثناء الليل ، والوصف الآخر يشرح لنا صورة زوجين في غرفة الزينة ، وهذان الوصفان يعبران عن الشعور بالسعادة العميقة الى حد انهما يجعلاننا نحسن صنعاً ان نحن طوينا الكتاب لنتمتع بهذه البهجة ، غير ان عنصراً يتشبث بمكانه من غير ان يتزحزح ، فيضطرنا الى الهروب ، مثل (ماشا) من مثل هذه النظرة التي يركزها تولستوي فينا . فهل يثيرنا هذا الشعور في الحياة الواقعية ؟ وهل تدفعنا هذه السعادة العنيفـــة الى حافة المأساة ؟ او ان شدة سعادتنـــا هي التي تجرنا الى التساؤل قائلين مع بوزدينشيف « لِمَ نحيا اذن ؟ » وذلك في « اغنية كروتزير » .

تسيطر الحياة على تولستوي كما تسيطر الروح على دوستويفسكي ومع هذا ، فعقرب (لِمَ نحيا ؟) تظل عالقة دائماً بزهرة الحياة المتفتحة الزاهية . نجد ذلك في اشخاصه من اضراب اولين وبيير وليفن ، هؤلاء الذين يجمعون التجارب ويطوون العالم بين اصابعهم ، حتى في تمتعهم بكل شيء ، ولكنهم يصرون على التساؤل ، والبحث عن معاني الاشياء والاهتمام بمقاصدنا . فهنا ليس القس هو الذي يحطم رغائبنا ، بل هو الانسان الذي يحبها اشد الحب ، وحين يستخف بها ، يتحول العالم الى غبار ورماد تحت اقدامنا .

هكذا يمتزج الرعب بسرورنا ، ومن الكتّاب الثلاثة يُعد تولستوي اشدهم اسراً لمشاعرنا ، واعنفهم اثارة لنفرتنا . غير ان الذهن يستمد اخطاءه من بيئته . ومن هنا فاتصاله بأدب غريب كالادب الروسي يجعله يخطئ الهدف فيطيش سهمه .

يوسف عبد المسيح ثروة
العراق — بعقوبة

الخريف

✱

عد اليها ... ودعني
لا تحطم قلبها البكر ، وتئد حبها الوليد
عد اليها .. تعد الابتسامة الى شفتها الظمأى
والطمأنينة لنفسها الحيرى
عد اليها ... ودعني اطوي ايامي
لقد تركتني الاحداث حطام حياة
وفتتت صخرة الاقدار آمالي
فلم تبق منها الا اشلاء
عد اليها .. ودعني اواجه لطمات الايام
وانا اضحك منها حتى تملأ ضحكاتي الفضاء
عد اليها .. ضم بين ذراعيك الربيع
ودع الخريف يسير نحو الشتاء
عد اليها .. دعني اسير وحدي
بين ظلمات قلبي وعثرات حظي
علني التقي بالعزاء
عد اليها .. انا لست مقيمة .. بل عابرة !
عد اليها .. ودعني اهتف اليك من اعماقي :
وداعاً .. فانني راحلة

اندونيسيا — رقية الشافعي

وراء خط القتال

بقلم الكسي تولستوي

ترجمة سليمان موسى

قصة

كانت الفأس تهوي* على قرمية الشجر فتتفسخ جوانبها كالزجاج ، وكان الدخان يتصاعد عموديا من مدخنة السطح المغطى بالثلوج ، ثم ينتشر في السماء — ازرق كالفيروزج وشابه احمرار خفيف ، واشعة الشمس التي بزغت منذ قليل ، تلمع على زجاج الشبابيك وعلى اشجار البتولا المكسوة بالطل المتجمد بفعل الصقيع .

ومسح فاسيلي فاسيليفتش انفه بطرف ردائه المغطى بالجليد بعد ان اراح فأسه ، وتطلع حواليه فرأى فتى قادماً من القرية وقد غطى رأسه بقبعة من الفراء ، واقترب الفتى وهو يسير بجانب الاخاديد التي تركتها عجلات المركبات . وكان صدر ردائه الكبير مفتوحاً وذراعاه تتراوحان على نسق خطاه .

وبعد ان خاض الفتى في الثلج العميق المتراكم ، قفز فوق السياج الى الساحة ، وبدون ان يلقي تحية الصباح ،سحب قبعته وتناول من بين طياتها ورقة زرقاء ودفعها الى فاسيلي وهو يقول : لقد سقطت هذه من احدى الطائرات .

ثم تناول الفتى الفأس .وبعد ان اخذ نفساً عميقاً ، هوى بها على القرمية ذات العقد ، كأنما يحاول ان يجد منصرفاً لمشاعره المكبوتة .

*

لم يكن هذا الفتى سوى اندريه بودينوف ، الذي كان قد انهى دراسته في الربيع الفائت في مدرسة يلنيا حيث كان فاسيلي ناظراً للمدرسة ، وكان ينوي الانتساب للجامعة ، لولا ان الحرب اعلنت ودعي للخدمة العسكرية ، ولم يلبث ان اسر في القتال الذي نشب حول فيازما .

في تلك الايام كانت الفكرة القديمة للحرب ما تزال سائدة — الفكرة التي تقول ان الاستسلام هو التصرف الامثل للجندي الذي يحيط به الاعداء . كما ان الناس لم يكونوا قد عرفوا بعد طبيعة الالمان على حقيقتها . ولم يكن مناص من دفع الثمن للاختبار . وساهم اندريه بدفع نصيبه كاملاً . وعندما استسلم ساقوه مع بقية الاسرى الى مستنقع محاط بسياج من الاسلاك ووقف هناك تحت المطر وقد غاص في الوحل الى ركبتيه . ورأى كثيرين من رفاقه وقد عجزوا عن الاحتمال فغاصوا في الوحول . وفي اليوم الخامس سيق من تبقى من الاسرى على قيد الحياة باتجاه الغرب وهم اقرب الى الموت منهم الى الحياة . وكان الرصاص يطلق على من يتخلف عن الركب التعس ، ولكن احداً منهم لم يكلف نفسه عناء الالتفات .

وربما مروا باحدى القرى ، فكانت وجوه العجائز المغضنة الحزينة ، تطالعهم من وراء الاسيجة والابواب ،وطالما امتدت ايديهن بقطعة من الخبز الجاف او بابريق فخار فيه شيء من الحليب .

عند ذلك فقط ادرك اولئك الرجال ماهية العار الذي لحق بهم ، واخذ الاشداء منهم يتسللون كلما لاحت فرصة وفي احد الايام تسلل اندريه بينما كانت قافلتهم تمر باحدى الغابات . وزحف اولاً على يديه ورجليه والرصاص يئز الى جانبيه ،وعندما ابتعد سار متجنباً الاماكن المطروقة حتى بلغ قرية ستارايابودا وفي القرية قرع اول باب صادفه ، ولكن الشيخ الذي يقطن البيت رفض ان يؤويه خوفاً من العقاب .

وفي كوخ آخر رأى عجوزاً منهمكة بتغسيل طفل صغير وعندما طلب اليها ان تؤويه ، صمتت قليلا ثم قالت : حسناً تستطيع ان تبقى عندي .

وتعرف في القرية على كثير من الفارين . والفت بين الجميع وحدة المصاب ، بالاضافة الى ما ساورهم من ظن بخسران قضية وطنهم بعد ان سمعوا مختار القرية يعلن استسلام موسكو وتشتيت بقايا الجيش الروسي عبر جبال الاورال .

*

وفي غيظ رفع اندريه فاسه واهوى بها

---

* في النصف الثاني من عام ١٩٤١ ، حينما كان النازيون يهاجمون البلاد الروسية بجحافلهم الجرارة ... في تلك الفترة الرهيبة من تاريخ العالم ، كتب الكسي تولستوي — حفيد ليو تولستوي العظيم- بضع اقاصيص يصور فيها بطولة الشعب الروسي واستماتته في الدفاع عن وطنه.ثم جمعت هذه الاقاصيص ونشرت في مجلد واحد بعنوان (بلادي). وقد شجعني على نقل هذه الاقصوصة الى العربية ان امتنا تشتبك في هذه الفترة الحاسمة من تاريخها مع عدو خطر لئيم، وانها تمثل واقع الحال بيننا وبين اسرائيل . س.م.

على القرمية فانفلقت الى قطعتين .

– يا ليت ما جاء فيها صحيح .. ما رأيك ؟

لم تكن الورقة الزرقاء الا نشرة تعلن تراجع الالمان عن موسكو وخذلانهم في هجومهم .. وقرأ فاسيلي النشرة بعينين تلتمعان . كان شعوره اذ ذاك كشعور من يبلغه العفو من الاعدام .. ثم دخل مع اندريه الى الكوخ ، وفيه التقيا بامرأة قصيرة بدينة كانت قد آوت فاسيلي في بيتها . ووضع فاسيلي يديه على كتفيها وهزهما وهو يصيح في وجهها المغضن الجامد :

– ابتهجي يا كابيتولينا ايفانوفنا واعملي لنا بعض الكعك ، عندي اخبار سارة لك ، ان الـه روسيا ما يزال على قيد الحياة وها هو قد اخذ يرد اللكمات .

ثم قصد الى منضدة وجلس اليها ، وقرأ النشرة بصوت عال ثم صفق بيديه وضحك منتشياً وهو يقول :

– اين الذين لم يثقوا بروسيا . وكانوا يستعدون لدفنها ؟ ها هي اقوالي تتحقق اخيراً. لقد نهضت، نهضت امنا الجبارة.. ان هذه الانباء قد قلبت الموقف بالنسبة لنا .

وشاهده اندريه يهرول من الغرفة ثم يعود بعد قليل وفي يده مسدس وكيس مملوء بالرصاص . وقال فاسيلي : كم ليلة قضيتها ساهراً في انتظار خبر كهذا .. والآن سنبدأ عملنا يا اندريه .

– نحن وحدنا ، وبمسدس واحد ، مقابل فصيلتين يا فاسيلي فاسيليفتش ؟

– يجب ان نبدأ على اية حال . ان اول رجل على الارض صنع سلاحه من الاحجار، وها نحن نرى كيف تطور ذلك السلاح.

– حسناً يا فاسيلي ، ولكن في تلك الايام لم يكونوا قد اخترعوا بعد البنادق السريعة الطلقات .. كانوا يعتمدون على شجاعتهم الفردية و..

ولم يكن احد قد شاهد ناظر المدرسة الوقور في حالته تلك عيناه حمراوان ، ووجهه منتفخ ، ولحيته التي تشبه ذقن الماعز تهتز بعنف ، واما شدقاه فقد اتسعا كمن يتحفز للنهش والعراك.

– اصبت الهدف يا اندريه، ونحن لا يعوزنا سوى الشجاعة الفردية ... هذا امتحان لنا ، امتحان تاريخي عظيم . فاما ان يحتل العدو بلادنا واما ان نقضي عليه. انني ارى اجداث ابائنا الراقدة في ساحات الكنائس تتململ بانتظار اعمالنا...هل تحب بوشكين؟ ان النار التي اشعلها تتلظى في قلبك،وما هي عواطفك تجاه ثقافتنا وتقاليدنا ؟ قد نستحق الملام على توانينا ، ولكن لا بأس ... ان بلادنا ضخمة وبطيئة الحركة ولكنها شديدة الأسار ... وما علينا الا ان نحزم العزائم ... وسنذهب الليلة الى ستارابابودا .

*

كان القمر يلقي ضوءاً باهتاً على الثلوج البيضاء ، واشجار الصنوبر المتناثرة تلقي ظلالها هنا وهناك ، وأجهد فاسيلي نفسه لمتابعة خطوات اندريه ، حتى وصلا الى طرف القرية ووقفا في ظل احد البيوت . ثم سمعا هدير سيارة ، واصوات جافة تتحدث بلغة غريبة .

وانتظرا حتى خيم السكون مرة اخرى ، ثم قفز اندريه فوق السياج وتبعه فاسيلي ، وقرعا الباب . وحينما سمعا صرير مزالج الباب قال فاسيلي بالالمانية : يا مختار القرية ، افتح فالضابط يرغب في أن يراك .

وجاء الصوت هامساً من الداخل يقول : دقيقة واحدة يا سيدي ، دقيقة .

ثم انفرج الباب واطل من الفرجة المظلمة وجه ران عليه الذل. وفي لحظة خاطفة دفع اندريه الباب بكتفه ، وبدأ عراك صامت بين الرجلين. ولم يتبين فاسيلي في الظلمة ايهما هذا او ذاك. وكان لهاثهما وزحيرهما يرتفع خلال تطاحنهما على الارض قريباً من قدميه ، ثم تبين له وجه المختار وقد انبطح فوق اندريه ، فلم يتوان في تصديع رأس الخائن بكعب مسدسه...

وتصاعد انين الرجل وهو يقول : لقد قتلتني ايها الخنزير .

وتقدما الى الغرفة ، فشاهدا على الحائط صورة لهتلر في بزة البحرية ، وعلى المنضدة الفيا بندقية سريعة الطلقات .

وقال فاسيلي وهو يبتسم ابتسامة جامدة ، الا ترى الآن ان سلاحنا قد تحسن . احمل البندقية وهيا بنا الى منزل ليونكا فلاسوف .

وبعد ان اخفيا جثة المختار في قبو الحطب ، بارحا الدار على ضوء القمر الباهت ، القمر الذي تمنيا لو ازداد لونه احمراراً ليغدو كدماء القلوب المعذبة وكالبغضاء اللاهبة .

لم يتوان ليونكا فلاسوف،ذو الجسم الضخم والرقبة الغليظة والوجه العابس ، في الاستجابة لقرعها على بابه . وخرج حافياً في سرواله وقميصه. ووقف يتفحص البندقية وهو ينفض قدمه الباردة بين فترة واخرى ، بينما كان يستمع لما يقصانه عليه من خبر النشرات،وعزمهما على تكوين عصابة للقتال. وحينما اخذت

اسنانه تصطك من البرد قال : يحسن بنا ان ندخل. يلوح لي ان هذا عمل جدي حقاً ، ويجب ان ندعو الآخرين .

وتحادثوا همساً في الظلمة ، لم يتوقفوا الا عند سماعهم صوت النسوة في الغرفة المجاورة، ثم رأوا واحدة منهن تتجه نحو الباب وهي ترتدي معطفها. وهمس ليونكا بضع كلمات في مسمعها فاستدارت نحو المدفأة ، ونادت بصوت ناعم فتي : فانيا، فانيا، اعطني جزمتي .

ولبست جزمتها دون ان تجلس ، ثم غادرت البيت . اما فاسيلي فقد اخذ يتحدث ويعرض افكاره ، واطال في القول حتى قاطعه ليونكا بحدة قائلاً : الاعمال وسيلتنا الوحيدة ولا سواها. ان شعبنا لم يعد يحتمل المزيد ، واذا نحن نجحنا في القضاء على حامية واحدة للعدو ، فان عشرات القرى ستحذو حذونا. ثم نادى : فانيا ، فانيا. دع المدفاة وتعال .

وغادر الصبي فراشه واقترب منهم ، واخذ يتفحص وجهي الزائرين بعينيه الواسعتين. ورفع فاسيلي يده يريد ان يتلمس شعر الصبي مداعباً. ولكن فانيا دفع اليد الممتدة جانباً، كأنه يقول: لسنا في وقت عبث كهذا .

وقال ليونكا : اننا بحاجة الى سلاح يا فانيا . اتعرف عن اسلحة مخبأة في هذه الجهات. ان الاولاد يعرفون دائماً كل شيء .

– نعم ، يوجد اسلحة كثيرة . مدافع مضادة للطائرات ، ورشاشات ، وقنابل يدوية ، والغام. انني سأريكم الاماكن التي دفنت فيها تلك الاسلحة ... أتقصدون مقاتلة الالمان ؟

– هذا لا يعنيك .

واجاب الولد وهو يشد حزامه : كيف لا يعنيني . انهم لن يحصلوا مني على كلمة ولو قطعوا جسمي ارباً .

واتكأ فاسيلي على مرفقه ليلقي نظرة اوفى على وجه الصغير فرأى وجهاً صبيانياً مستديراً ذا شفتين ممتلئتين ، ولكن مسحة الكبرياء عليه لم تكن صبيانية .

ودخل خمسة رجال الى الكوخ ، كلهم اسرى فارون ، ثم دخلت وراءهم الفتاة ، ومضت الى غرفتها بعد ان سحبت الشال عن رأسها. ووقف فاسيلي بجانب النافذة، وقرأ النشرة بصوت عال.

وقال احد الرجال : هذه اذن هي الحقيقة ... سيدفع العدو غالياً ثمن ما قاسينا على يديه ... تعالوا ننبش تلك البنادق .

*

هكذا تألفت النواة الاولى لرجال المقاومة . ومضوا الى المواضع التي دفنت فيها الاسلحة فعثروا على اربع رشاشات ، وصندوق مليء بالقنابل وبضعة الغام .

وقبل بزوغ الفجر كانت الاسلحة قد اخفيت في بيت فاسيلي ، وفي الصباح كان الناظر يعمـــل في تقطيع الحطب ، وهو يغمغم باغنية قديمة :

كان يوماً شاتياً بارداً
بارداً حتى لم تكن ثرى
إن الطريق مغطاة بالثلوج ...

وفي تلك اللحظة جاء فانيا يركض خلال الحقول ، وتطلع فاسيلي الى وجهه فرأى انه ليس صبيانياً الى الحد الذي صورته له العتمة . كما لاحظ ان مسحة الكبرياء قد فارقت محياه .

– لقد عثر الالمان على نوسيكوف المختار قتيلاً في بيته وهم يفتشون البيوت ويحطمون كل شيء ، وقد قال لي احد الاولاد انه سمع الالمان يتحدثون عن قافلة من السيارات ستصلهم هذه الليلة ، اتريد ان تكافني بمهمة ما .

– تعال . ستعطيك كابيتولينا ايفانوفنا بعض الكعك .

*

في تلك الليلة وعلى بعد عشرة كيلومترات من قرية ستاريا بودا ، كانت قافلة من سيارات النقل الالمانية في طريقها الى القرية وفجأة ثارت الالغام تحت السيارة الاولى فتحطمت واندلعت فيها النار ، ومن الاجمة محاذية انهمر سيل من الرصاص على السيارات الاخرى : وفي غمرة الذهول التي اصابت رجال القافلة ، اندفع من الاجمة رجل وهو يصرخ صرخة الهجوم . واطبق رجـال المقاومة بخناجرهم على الجنود .

وانتهى كل شيء خلال بضع دقائق ، وبعد ان اخذ رجال المقاومة كل ما هم في حاجة اليه من بنادق وذخيرة ، اشعـلوا النار في السيارات .

وفي الصباح التالي كان فاسيلي فاسيليفتش يعمل مرة اخرى في تقطيع الحطب . وبعد اسبوع واحد ارتفع عدد الفصيل الذي يقوده الى مئتين من الرجال .

وانعقدت النية بعد ذلك على القيام بالعملية الرئيسية – عملية تصفية الحساب مع حامية العدو في ستاريا بودا . وفي اول ليلة تكاثفت فيها الظلمة ، جرى القضاء على الحامية كلها ، وارتفع علم الوطن فوق البناء الذي كانت تحتله قيادة الاعداء .

الاردن – المفرق — سليمان موسى

تفاحة حواء

✳

غداً عصفورتي نُطلقُ روحينا من الأسرِ
إلى عالم أحلامٍ .. الى دنيـا من الشعر
وهذا القَفَصُ الفضيُّ لن يُحشَدَ بالطير
سيبقى بعدنا للبومِ والغربانِ .. للهجر

✲

غداً عصفورتي نُرخي جناحينا على النهر
ويهتزُّ فؤادانا بأشواقِ الهـوى الخضر
ونسترسلُ في دفقـةِ موسيقى من الفجر
كما أرسلها داوود من مزمـاره السحري

✲

غداً نحيا سلامَ الحب في عُشٍ من الزهر
مع البستان ، والجدول ، والناي مدى العمر

✲

وطفلانا ، غداً ، خدّاهما أحلى من الخمر
وعَينْنا حلوتي « سلمى » كخيطين من الفجر
كنجمين يفيضـان على الظلماءِ بالبشر

✲

فلا تأسَيْ ، غداً نُطلقُ روحينا من الأسر
مع الأجنحةِ البيضـاء في تحليقها الحُرِّ
ومن فردوسنا ، تُهدين لي تفّاحةَ الخير

الاردن - رام الله — يوسف الخطيب

الوطن في الادب العربي القديم

بقلم ابراهيم الابياري

°°°

انا ممن يؤمنون بالوطن إيمانهم بربهم ، واعد الايمان بالوطن دليلاً على صحة الايمان بالرب ، فمن لم يشكر للارض التي اقلته وكفلت له ولأسلافه من قبل ، ثم لأخلافه من بعد منبتاً ومراداً ومآلاً ، لم يشكر لخالق هذا كله ولم يؤمن به .

القليل من متاع الحياة عندي كثير في ظل وطن عزيز ، وكثيره عندي قليل في ظل وطن مهيض ، فلا العافية وقد ذقت حلاوتها ، ولا الغنى وقد رأيت اثره على غيري ، ولا شيء مما اخاله طيباً انا به ناعم او هانىء ان هان لي وطن .

شهدتني يوماً وانا اجود — في وطن* فات وطني بكثير — الى فقير معدم رث الثوب ، بالي النعل ، منهد البنيان ، فتمنيت ان اخلع عليه عافيتي وما املك ، وان اكونه ، على ان يخلع الله على وطني اسباب العافية والجاه التي سبق بها وطنه وعز .

انها لنعمة لا تعدلها نعمة ، بي ان اجوع واعرى ، اما ان يهون وطني فتلك قاصمة الظهر ، فاولها اذى يصيبنا في ابداننا وثانيها ينال من انفسنا ، وما يعدل اذى اذى .

وفي الاثر : حب الوطن من الايمان . وقديماً كان العرب اذا شدوا الرحال الى سفر مفارق حملوا معهم من تراب اوطانهم يشمونه كلما نازعهم اليها حنين .

وحكوا ان ملكاً من ملوك العجم غزا غزوة ، فاعتل علة ظن فيها حتفه ، فقيل له : ما تشتهي ؟ قال : شربة من دجلة ، وشميماً من تراب اصطخر ، فمكثوا اياماً ثم اتوه بماء وقبضة من تراب ، وقالوا — غير صادقين — : هذا من ماء دجلة ، وتلك من تراب ارضك ، فشرب هذا ، واشتم تلك ، وهو يهمهما كذلك ، فافاق من علته .

وقال الاصمعي : دخلت البادية ، فنزلت على بعض الاعراب فقلت : افدني . قال : اذا شئت ان تعرف وفاء الرجل ، وحسن عهده ، وكرم اخلاقه ، وطهارة مولده ، فانظر الى حنينه الى اوطانه ، وتشوقه الى اخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه .

وقيل لاعرابي : أتشتاق الى وطنك ؟ قال : كيف لا اشتاق الى رملة كنت جنين ركامها ، ورضيع غمامها ؟ . وروى ان ابان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فقال له : يا ابان كيف تركت مكة ؟ قال : تركت الاذخر وقد أغدق ، وتركت الثمام وقد خاص ، فاغرورقت عينا رسول الله ، وقال : دع القلوب في اماكنها .

ولا تحسبن الذين اشربت نفوسهم محبة بلادهم خلقا غيرنا ، وانما تولتهم عناية وعناية وعناية ، فسمعوا كلمة الوطن مع كل ما يسمعون ، ورأوها في كل ما ينظرون ، واحسوها في كل ما يحسون ، فملأت عليهم السمع والبصر والفؤاد ، عزت عليهم فحموا لها وناموا بها .

نعم تستطيع ان تجعلني على صلة وثيقة بوطني اذا وفرت لي الكثير من الاسباب الواصلة ، فملأت مني السمع عنه بكل شائقة وجلوت للبصر منه كل رائقة ، او نفثت في روعي له كل تائقة من مآثر امجاده ، ومجالي بلاده ، وحرمه وعهاده .

ولكن اي شيء سيتولى هذا عنا ، فيسمع في بيان ، ويجلو في روعة ، وينفذ في طلاوة غير الادب ؟ فكم من حديث وحديث تميل عنه الآذان ولا ترهف له ، وكم من مجلى ومجلى تقع عليه العين ولكنها لا تدوم عليه ، وكم من صالحة وصالحة تمر ولا تنطوي منها النفوس على شيء .

فالتاريخ يسمعنا من احداثه ما نحفظ عنه ، ولكن علما

* كان الكاتب استاذاً بالمعهد المصري في مدريد .

نلقته خالفاً عن سالف ، لا صلة له بالنفس ، ولا اثر الا في القليل حتى اذا ما تهيأ للأدب ان يتولى ناحية من نواحي هذا التاريخ بلون من الوانه ، بقيت من الخوالد لها الروعة اللافتة والعجب المثير ، وما خلدت الرياحين باعباقها ، ولا الورود بالوانها، ولا المشاهد بمفاتنها ، وانما الادب وحده هو الذي خلد هذا كله من هذه كلها .

وباكثر ما تعد به الحياة من خبيثة وطيبة ، وما احسب السوط وزع فاجدى ولا التراب رغب فاغنى ، فاذا ما اتيح لهذه وتلك لسان من ألسنة الادب ، ينفذ الى النفوس ، ويعمق الى الافئدة ، نضر وحبب ، وابعد وقرب .

واذا كان الوطن ايماني ، فالادب منه قرآني ، اسمعه فيشجيني واتلوه فيحييني . هبوا ان محمداً عليه السلام فاتنا دون ان يخلف لنا هذا الكتاب الكريم ، وهبوه فاتنا على كتاب لا بلاغة فيه ولا اعجاز ولا حلاوة تعبير ولا سحر بيان .

يا ضيعة الدين ان كانت وما لها بعث ربك نبيه ، ولكنه ارادها رسالة خالدة حية ، كيوم ارسل بها رسوله ، فخار لها اشرق كلم ، واودعها ابدع عبارة .

فبهذا الادب البالغ وصل ربك بين الناس وبين دينهم ، يقبلون عليه في خفة الطرب فيأخذون عنه ابسط ما يكونون نفوساً ، واشرح ما يكونون صدوراً ، واروح ما يكونون افئدة اذن فهو الادب ، وتلك رسالته .

فلننظر كيف وصلنا ادبنا باوطاننا ، وما حمل في ذلك من نصيب ، مع ما عاش عليه العربي الاول من نقل دائبة ، يرتاد معها منابت الغيث في تلك الفيافي اللافحة الماحلة الظامئة ، يطلب كنا ومطعما وربا ، لا يستقر به المطاف على مربع حتى ينهض الى سواه ، ويكاد يكون مشتاه غير مقيظه ، ومقيظه غير مصيفه ، حيثما قاظوا بنجد ، وشتوا عند ذات الطلح من ثني وقر .

مع هذه الحركة العجلة ، والتلبث المفزع ، فقد كان عهد كل قبيل بمعاهده لا يكاد يحول الى جديد الا مع قهر قاهر ، كأن تمسك السماء بعد ارسال ، او ان يخرجهم عنها قوي عنيد ، والا فحيث كانوا يكونون . كانت اوطانا لا وطناً واحداً ، يستقبلونها مراتع مربعة ، ويولون عنها دمنة عافية ، وآثاراً حائلة ، يهشون لها في الاولى ، وكأنهم يستقبلون الدنيا بما زخرت ويبكونها في الثانية ذاكرين ما كان لهم بها .

منزل دمنه آباؤنا المورفون المجد في اولى الليالي .

الاديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيهاً او ٦٠ دولاراً كحد اعلى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى
اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — Direc : 23819
المنزل ٢٥١٣٩ — Dle. : 25139 : Tél.

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

سكرتير تحرير مكتب القاهرة : **محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

وما انت بناس قول زهير :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم … بحومانـــة الدراج فالمتلم
ديار لها بالرقتين كأنها … مراجع وشم في نواشر معصم

الى ان يقول :

وقفت بها من بعد عشرين حجة … فلأيا عرفت الدار بعد توهم

ثم يقول :

فلما عرفت الدار قلت لربعهـــا … الاعم صباحاً ايها الربع واسلم

ومهما امتد المطاف بهذا الرجل الاول ، وعلى اية بقعة وقع وسواء اخالف بين امس وامس ، ام كان يدوم ولا يريم ، فعلمنا ان قبائل العرب لم تخرج عن منازل لها ولم تبعدعنها كثيراً الا مع سيل عارم يقذف بالناس الى حيث لا يعرفون ، او جدب متصل يشتتهم اشتاتاً ، ومع هذه وتلك فقد امسكهم وطن عام غلب عليهم بمقوماته ، ووسعتهم رقعته ، هو الجزيرة العربية بصفاتها التي تكاد تكون موحدة .

حقاً ان العربي الاول فني في قبيله اكثر مما فني في موطنه فقد عرف الوطن لاقرار عليه الا بجماعة قومه ، وعرفته طبيعة الارض وخلف السماء ان البقاء على اديم لا يجود فناء وهلاك ، فلم يمسك الارض الا اذا امسكته هي ، بما تخرج ، ولم يبق عليها الا اذا بقيت هي له خصباً وامناً . الا انه مع هذا كله كان لا ينساها اذا تحول عنها ويذكر مراتعه بين ظلالها :

احن الى تلك الابارق من قناً … كأن امرءاً لم يجل عن داره قبلي

ثم انت عالم انهم حين يضعون الرجال على مقام فارغون لكد الحياة ساعة ، وللهو ساعات ، ان لم تملأ عليهم الغارات ايامهم والسنوات .

ترى ما هي ذكرياتهم التي تعلق بنفوسهم في مقامهم ، اما كدُّ الحياة ، فان هي الا سماء تصوب وارض تجود ، وحديث الحياة بما تعطي وتأخذ ليس من احاديث النفوس ، ولا سيما نفوس الشعراء حين يشبون ويشب معهم هوى جامح فيه متنفس لما يأخذ بالخناق من اقفار القفر ، وتلك الخصومات الشاجنة على الماء والنبات ، لذا كانوا اكثر ما يذكرون الديار يذكرونها مع هوى نعموا به على ارضها ، او مع وقائع وايام نالوا فيها وخسروا ، اسمع الى قول لاهيهم :

وطن اللهو الذي جر الصبى … فيه اذيال الهـوى مستوطنا

ثم يقول الآخر :

عرجا بالاثار بي … كي اقضي مآربي
واسرقا نوم مقلتي … من جفون الكواعب
واعجبا من ضلالتي … بين عين وحاجب

ثم الى قول العيزار الطائي :

الا حي رسم الدار اصبح باليـــا … وحيـوان شاب القذال الغوانيا
تحمان من سلمى فوجهن بالضحى … الى أجأ يقطعن بيــــدا مهاويا

ويقول آخرهم :

اتعرف الدار بذي اجراز … دار السعدى وابنتي معاذ

وكما ذاقوا على ثرى الوطن رشفات اللهو العذبة ، فقد كسبوا على رباه فخر الفتوة وعز البطولة . وهكذا كان الوطن – كما عرفه العربي – جزءاً من حياته ، يشركه في لينه وبطشه ، يذكره باسمه ولا يجتزىء ، يقول حضرمي بن عامر :

سلي اما سألت الحي تيا … غداة الاثل عن شدي وكري
وقد علموا غداة الاثـــل اني … شديد في عجاج النقع ضري

ومثل هذا كثير نقرؤه في ايامهم ووقائعهم ، غير ان ثالثة نذكرها لهم ، فلقد كانوا ان ندبوا موتاهم ندبوهم حيث يثوون ولعلهم ارادوا ان يحفظوا موتاهم فلا يضيعون بين جنبات الموماة ام لعله الوطن لم يشاءوا ان يخلو منه مظهر من مظاهر حياتهم طبيعة ليس معها روية او سليقة ، لم يرسم لها فكر ، ولعلك تذكر معي من ذلك قول قتيلة ترثي النضر :

يا راكباً ان الاثيل فطنة … من صبح خامسة وانت موفق
بلـــغ به ميتاً بان تحيـــة … ما إن تزال بها الركائب تخفق

ولعلك تذكر مع قول قتيلة قول ابن بشير يرثي ابن الحصين :

الا ايها الباكي اخاه وانما … تفرق يوم الفدفد الاخوان
اخي يوم احجار الثمام بكيته … ولو حم يومي قبله لبكاني
تداعت به ايامه فاخترمنه … وابقين لي شجواً بكل مكان

وهكذا عاش هذا العربي وفياً لذلك المهد والمراح كل الوفاء لا يفتأ يذكر اسمه في لهوه وجده فاذا تناشد الناس شعر غرامه ذكروا اثنتين : هوى محبوبة صافاها وده ، وربما شغل عليه قلبه ، واذا راحوا لشعر الكفاح والنفاح لا يذكر المرء الا بلاءه ، وجدوه لم ينسَ ان يرفع لذلك المكان الذي جال على وجهه وصال ذكراً ، واذا وارى الثرى حبيباً عز عليه ان يندبه دون ان يخلد اسم المكان الذي ضم جسمه الى جانب اسمه واذا ابعد عنه وطوحت به نوى هاجه الحنين اليه والى اهل وجيرة

بهم عزه ونصره فانطلق لسان شاعرهم يقول :

الاهل الى اجيال صبح بذي الغضا … غضا الاثل من قبل الممات معاد
بلاد بها كنا وكنا نحبها … اذ الاهل اهل والبلاد بلاد

ويقول :

الا ايها البرق الذي بات يرتقي … ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا
وهيجتني من اذرعات وما ارى … بنجد على ذي حاجة طربا بعدا

وجرى الزمان بهؤلاء القوم من خشونة الى رفاهية ، ومن بداوة الى حضارة ، والوطن هو الوطن ، حنينهم اليه هو الحنين وذكراه على السنتهم لا تفتر .

يحكون ان الرشيد في مزجة له حمل اخته عُلَيَّة معه ، فلما صارت بالمرج عملت شعراً ، وصاغت فيه لحناً ، وكتبت الابيات ليلاً على بعض الفساطيط في طريق الرشيد ، فبصر به فقرأه فاذا هو :

ومغترب بالمرج يشكو بشجوه … وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما اتاه الركب من نحو ارضه … تنشق يستشفي برائحة الغرب

فلما قرأه علم انه من فعل علية ، وانها قد اشتاقت الى العراق والى الاهل فامر بردها. ويروون لابن خطيب داريا :

خليلي ان وافيتما الشام ضحوة … وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
فقا واقرآ عني سلاماً كتبته … بدمعي على مقري ولا تنسيا سطرا

ولابن الرومي :

بلد صحبت به الشبيبة والصبى … ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رايته … وعليه اغصان الشباب تميد

ويروى ان ابن الرومي هذا اتى بعضهم بقصيدته التي مدح بها سليمان بن عبدالله بن طاهر وقال : انصفني وقل الحق ، ايما احسن : قولي في الوطن :

ولي وطن آليت الا ابيعه … والا ارى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة … كنعمة قوم اصبحوا في ظلالكا
وحبب اوطان الرجال اليهم … مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم … عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا

ام قول الاعرابي :

احب بلاد الله ما بين مدعج … إلي وسلمى ان يصوب غمامها
بلاد بها حل الشباب تمائمي … واول ارض مس جلدي ركامها

فقال له : بل قوله ، لانه ذكر الوطن ومحبته ، وانت ذكرت العلة في ذلك .

ولبعضهم وقد فارق بغداد :

لهفي على بغداد من بلدة … كانت من الاسقام لي جنة
كأنني عند فراقي لها … آدم لما فارق الجنة

وما اقرب قول ابن الخطيب منه بعد فراقه للاندلس :

اموطني الذي ازعجت منه … ولم أرزا به مالا ولا دم
لئن ازعجت عنك بغير قصد … فقبلي فارق الفردوس آدم

وكان عبدالله بن الزبير نفى ابا قطيفة الشاعر عن المدينة الى الشام ، فطال مقامه بها ، فغلبه الحنين ، فقال يذكر معاهدها ويسميها تلذذاً بذلك وأنساً ، ثم اهله وهل يعدل الانسان باهله اهلاً ؟

ليت شعري واين مني بيت … اعلى العهد يلبن فبرام
ام كعهدي العقيق؟ امغيرته … بعدي الحادثات والايام ؟
وبأهلي بدلت عكا ولخماً … وجذاما واين مني جذام ؟
اقرأمني السلام ان جئت قومي … وقليل لهم لدي السلام

فبلغ هذا الشعر ابن الزبير فقال : حنّ والله ابو قطيفة ، وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره انه آمن فليرجع فانكفأ الى المدينة راجعاً ، الا انه لم يصل اليها حتى مات.

وحتى الجفاة الذين خلت قلوبهم من كل عاطفة حانية ، لم يبرؤوا من هذا الحنين ، حكى المبرد ان والي اليمامة وقع على

اعرابي يقطع الطريق فحبسه ، وكان من ابان فاذا هو تائب الى شيء واحد يذكره ولا يذكر سواه :

اقول لبوابي والسجن مغلق   وقد لاح برق : ما الذي تريان؟
فقالا نرى برقاً يلوح وما الذي   يشوقك من برق يـلوح يماني
فقلت افتحا لي الباب أنظر ساعة   لعلي ارى البرق الذي تريان
فقالا امرنا بالوثاق وما لنـا   بمعصية السلطان منـك يدان
فلا تحسب سجن اليامة دائماً   كما لم يدم عيش لنا بأبان

قد يبدو ذكر الديار يسيراً . اجل هو يسير على النفوس المطبوعة على الوله باوطانها ، المتيمة بحبها ، فجرى ذكرها في مجرى الانفاس منها في غير كلفة ولا جهد .

ولقد كان لهم عن ذلك مندوحة ؛ ولربما طاع لهم الشعران خلا من ذكر البلاد واتسق وكان اخف على سمع السامع وألين في فم الشادي ، وهم اهل بصر بالشعر يريدونه حين يرسلونه خفيف الجرس حلو الوقع ، وما ارادوا ان ينفروه بذلك او ينفروا منه ، ولكنهم كانوا لا شك في سبيل ما دانوا بـه ، وآثروا العليا ، ليكتبوا لبلادهم الخلود ، تسير سيرة الشعر تشرق معه وتغرب .

ثم ارأيت – فوق هذا – كيف استطاع هؤلاء الشعراء الوطنيون ان يخلفوا لنا تراثاً اي تراث حول البلدان كان مادة للناظرين في احوال البلدان . وكان اهم ما اعتمدوا عليه في ذلك هو هذا الشعر الخالد ، فمعاجم البلدان ان انعم فيها النظر وجدت شعر هؤلاء الشعراء اسها الذي قامت عليه ، وكم من بلد لولا الشعر خلده ما خلد ، ولولا الشعر ميزه ما انماز ، ولولا الشعر ذكر عنه ما عرف ولا استبان .

ولقد ذكروا ما لها حين لم يكن غيره ، وما في ظني ان البوادي كانت تحمل غير ما حملها العربي ، حتى اذا ما استبدلوا بوطن وطناً ، ونزلوا الحواضر شادوا فيها فنوعوا ، وذكروا ما لها وعددوا ، حتى ان اصحاب المعاجم اعني معاجم البلدان انفسهم خالفوا ، وتركوا لاقلامهم ان تنثر ، لم يقنعوا ان يخلد الشعر ما خلد دون النثر ، او كأنهم رأوا في النثر تقصيراً فارادوا ان ينهضوه .

يصف ابن الخطيب بلاد الاندلس في كتابه معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار فيقول :

قلت فمدينة المرية ، قال : المرية هنية مرية ، بحرية برية ، معقل الشموخ والاباية ، ومعدن المال وعنصر الجباية ، وحياة الاسطول غير المعلل بالنصر ولا الممطول ، ومحط التجار وكرم النجار ورعي الجار ما شئت من اخلاق معسولة ، وسيوف من الجفون السود مسلولة ، وحضارة تعبق طيباً وتتاود روحاً رطيباً ، ووجوه لا تعرف تقطيباً .

يسائل عن اهل المرية سائل   وكيف ثبات القوم والروع ياسر
قطى دارج في الرمل في يوم لذة   ولهو ، ويوم الروع فتح كواسر

قلت : فمدينة بسطة ، قال : وما بسطة الا بلد خصيب ، ومدينة لها من اسمها نصيب . دوحها متهدل ، رطيب هواؤها غير متبدل ، وناهيك من بلد اختص اهله بالمران في معالجة الزعفران ، وامتازوا به عن غيرهم من الجيران ، ثياب اهلها بالعبير تتأرج ، وحورها تتجلى وتتبرج ، وولدانها في شط انهارها المتعددة تتفرج ، ولله در القائل :

في بلدة عوذت نفسي بها - اذ في اسمها طه وياسين

*

هذه صفحة من صفحات الماضي لسنا بصدد مناقشة نواحي التخلف منها ، ولكن اية صفحة لنا في ذلك ؟ قد يكون لنا شيء كما كان لمن سلف ، ولكن اتراه يربي إرباءه ؟ ومجال القول دوننا ذو سعة ، والمعاني شتى والاغراض مختلفات .

أليس في الاخلال به دليل على ان ما يجب تحت الضلوع – وهو القلب – هو منها على قاصية مالي شاعراً تغريني الزهرة وانسى منبتها ، وتستخفني الدوحة ولا اذكر مغرسها وتستهويني الحسان واين انا عن مدارجها ؟ أليس للمكان الذي حمل واقل ، وآوى وأكن ، وانبت فاحسن النبتة ، وحمى فمد الظل ، واسغنا ماءه ، وتنفسنا هواءه ، وضمتنا مراتعه ، وشملتنا ملاعبه – أليس له من افئدتنا نصيب ، ومن هوانا حظ ، ومن لفتاتنا لفتة ، نشيد فيها باسمه ، ونخلده على الالسنة تردده ؟

ثم علينا الا ننسى انه الوطن الذي نريد ان نصل بين ناشئتنا وبينه ، فنذكرهم به مع كل غدوة وروحة ، وفي كل ممسى واصباح ، وهل ذكرى خير من ان نحس جماله بنوه ، فنصور لهم محاسنه وقد يمرون عليها وهم ساهون ، ونبرز لهم مفاخره فيغدون بها على غيرهم ؟

وما احوجنا الى حسن نذكره فينفعنـــا ، وفخر ندخره فنكبر به ونعز ..

انه الوطن ، وما اسم اعز علي من اسمه .

القاهرة   ابراهيم الابياري



عاشق يسافر بلا وداع

لغازي الكيلاني

العراق

وبلا وداع ..
واكاد أخجلُ ان أقول
بلا وداع
الريح تطردني
ويلطمني الشعاع
في زاخر الزبد المزمجر
كنت انحبُ والشراع
كفراشةٍ سكرانة العينين
يلطمنا الشعاع
وانا .. وآلاف الطيورِ
الراحلات بلا متاع
اعناقها الملوّنة الحمراء
يخنقها البكاء
وعيونها البيض الصغيرة
مثل حبات الضياء
كنا ـ ورغم مرارة الذكرى ـ
نحنُ الى الفناء
والى حدائقنا الوريفة والمساء
ايام كان ربيعنا
« شجرٌ وانسةٌ .. وماء »

نوبل مكافأة له على تعمقه في ابحاثه العلمية الخطيرة الا ان هتلر عارض في ذلك حينذاك وحال دون تكرار هذا المنح .

وقد اكتشف البروفسور فاربورغ في ذلك الوقت ما يسمى الخمر الاصفر في خميرة الجعة . وهو عنصر بالغ الاهمية في التفاعلات البيولوجية في الجسم . وكانت كلما طالت بحوث البروفسور فاربورغ كلما ازداد وقوفه على دقائق ماهية الاحتراق البيولوجي داخل جسم الانسان وطريقة التحولات من مواد الى مواد اخرى التي تجري في كيان النبات . واكتشف الخمر الفعال واسمه « كو – فرمنت » وتمكن من عزل الخمر الذي يحمل الهيدروجين وهو بمثابة المحرك المساعد الموجود داخل المادة الكلوروفيلية الخضراء في النبات وهي تتلخص في امتصاص النباتات لغاز الفحم من الهواء تحت تأثير الاشعة الشمسية وتحويله الى سكر ونشاء .

المأزق الحرج الذي يجتازه العالم

الدكتور ي . ادريان رئيس جمعية الطب البريطانية خطبة الرئاسة في الاجتماع الذي عقدته الجمعية في اوكسفورد – وهو الاجتماع الـ ١٢٠ بعد المئة – تحدث فيها عن المسؤولية المزدوجة التي تلقى على عاتق العلماء في عالم تسيطر فيه القنابل الذرية .

ألقى

وبعد ان اشار الى الخطر الذي ينجم عن مثل هذه الكارثة في حالة انقسام العالم الى معسكرين متناحرين ولدى كل منها مستودعات هائلة من الاسلحة الذرية المتكررة التي تؤدي الى احداث نشاط اشعاعي ذري عام الى درجة لا يستطيع احد احتمالها او التملص منها قال :

ان مصيرنا في مثل هذه الحالة هو في ايدينا وان ورطتنا هي النتيجة المحتومة لرغبتنا في المعرفة ولطبيعة العالم الذي نعيش فيه . ولكن اذا نحن سلكنا مسلكاً جديراً بمعرفتنا المتزايدة كان باستطاعتنا عندئذ ان نعيش بامان . ويترتب على العالم مع ذلك مسؤولية مزدوجة اذ يجب ان يطلق عقله ليتعلم ويدرك قدر ما يستطيع من الاسباب العقلية والفيزيائية التي تجعلنا نتصرف كما نتصرف الآن وعليه كذلك ان يدرس الطبيعة البشرية للحؤول دون سقوطها وفشلها .

بيد اننا لا نقوى على الانتظار من اجل الاكتشافات التي قد تجعلنا نتصرف بحكمة اكبر وارحب .

فعلى العالم ان يعالج شؤوننا كما نحن في واقعنا ويجعل من واجبه ان يشير الى أن الجنس البشري لن يستطيع الصمود في وجه اكثر من بضعة آلاف من التفجيرات الذرية الكبرى سواء اصابت هذه التفجيرات اهدافها ام اخطأتها .

ثم تطرق في خطبته الى ذكر اهمية العلوم الاجتماعية وقيمتها في هذا المضمار اذ يستطيع علماء الاجتماع التنبؤ بالنتائج التي قد تحصل من هذه الحالة العالمية الخاصة ويستطيع هؤلاء ايجاد الكثير من الوسائل لمعالجة التوتر الذي يقود الى حرب ويساعدهم في ذلك رجال السياسة . ثم انتقل الى الكلام عن التدريب الجامعي فقال : لا يتدرب في الجامعات تدريباً كاملا سوى ما يقرب من خمسة ملايين انسان من اصل الفي او ثلاثة الاف مليون نسمة يعيشون على وجه هذه البسيطة . ولدينا في بريطانيا ٨٥ الف طالب في جامعاتنا . ويجدر بنا ان نقول : انه يجب على الجامعات في جميع اجزاء العالم ان تلعب دورها في تمدين المواطنين وتثقيفهم ثقافات صحيحة عليا . ولكن لا يمكن ان يتم ذلك لولا جميع الاختراعات العلمية التي نحسبها مسؤولة عن مشاكلنا الحاضرة .

وفي جملة هذه الوسائل والاختراعات تحسين وسائل المواصلات والطباعة الرخيصة والكهرباء والبخار وانواع الالات وما الى ذلك من السبل .

في كلمات ...

● تكلم الدكتور التون اوشنر الجراح العالمي واخصائي السرطان في جمعية كولورادو الطبية فقال ان التجارب دلت على ان السجاير يمكن ان تسبب سرطان الرئة . واذا لم يقض على هذا المرض خلال الخمسين السنة القادمة فان عدداً كبيراً من سكان الولايات المتحدة الذكور سيفنى .

وقال ان على المدخنين ان يكشفوا على صدورهم بالاشعة السينية مرة كل ستة اشهر لان سرطان الرئة يمكن الخلاص منه قبل ان يستفحل امره .

● كتب الدكتور سدني روث في الجريدة الطبية البريطانية عن علاقة التدخين بسرطان الرئة فقال اذا كانت اغلب الوفيات بسرطان الرئة مبعثها التدخين ، فكيف اذن نجد ان الامريكيين الذين يدخن الشخص منهم ٣٠ في المئة اكثر من المدخن البريطاني ؛ تقل نسبة الوفيات بسرطان الرئة عن نصف ما هي عليه في بريطانيا .

ويقول الدكتور سدني انه لا علاقة بين نسبة الوفيات بسرطان الرئة وكمية التدخين . فسكان الولايات المتحدة من اكثر الناس تدخيناً للسجاير في العالم وبالرغم من ذلك فان نسبة الوفيات بسرطان الرئة مثلها في السويد والدانيمارك الذين يدخن الفرد منهم نصف ما يدخنه الامريكي .

ويقول اننا عندما نحلل هذه الظاهرة في مختلف الدول لا نجد علاقة اكيدة بين الوفيات بسرطان الرئة وكمية التدخين . ولا بد ان هناك سبباً آخر له تأثير في هذه الناحية .

ويختم مقاله بقوله : وسواء كان التدخين من الاسباب المؤدية الى سرطان الرئة او لم يكن فان تحذير وزارة الصحة البريطانية من اخطار الافراط في التدخين له اعتباره ومبرراته . فكل اسراف وافراط ضار سيء العواقب ..

● نجح الدكتور تشيون في اجراء عمليات جراحية في القلب بالتخدير الموضعي ومن بين العمليات الثلاثين التي نجحت ، عملية اخراج رصاصة من القلب وعملية ازالة تدرن .

● اعلن ناطق بلسان مستشفى جورج تارن بامريكا ، بان استعمال الكلي الاصطناعي ، قد ساعد على انقاذ حياة مريض كان على شفا الموت .

● اذيع في مؤتمر علماء النفس بنيويورك انه قد اصبح من الممكن الكشف عما اذا كان الطفل الوليد يعاني من وجود تلف في انسجة المخ ام لا .

وذلك بان يسلط على جبهة الطفل تيار كهربائي ضعيف فاذا كان المخ مصاباً بشيء من التلف العضوي فان هذا يستلزم تياراً كهربائياً اشد حتى يمكنه ان يحرك قدمه .

ويقول الدكتور جراهام استاذ الامراض العصبية النفسية في جامعة واشنطن ان هذا الاختبار قد نجح الى حد بعيد علاوة على انه لا يؤذي الطفل . كما ان اكتشاف مثل هذا النقص العضوي في وقت مبكر قد يعطي فرصة اكثر نجاحاً لعلاجه .

● اعلن ان عالماً امريكياً ، الدكتور دوجلاس هوري استاذ علم الاشعة في كلية الطب في جامعة كولورادو قد اخترع آلة جديدة اسمها « السوموسكوب » قد تساعد على اكتشاف السرطان والطلوعات الاخرى . وانه باستطاعة هذه الالة ان تبين الصور المأخوذة بالاشعة بدقة يستطيع معها الطبيب تشخيص المرض بسهولة .

● قام بعض الاطباء في بريطانيا الذين يهتمون بالامراض النسائية باجراء بعض التجارب على دواء اكتشف منذ ١٤٠٠ سنة يعتقد انه يسهل عملية الوضع عند النساء .

ومن المعروف ان هذا الدواء مركب من عصارة التوت الشوكي وبعض المواد الاخرى .

● اكتشف طبيب مصري دواء لعلاج السل.. والدواء الجديد يقضي على المرض في ٣ شهور ولا ينشأ عن استعماله اي مضاعفات او اضرار.

وقد اكتشف هذا الدواء الدكتور علي مطاوع الاستاذ المساعد للاشعة بكلية طب قصر العيني .

ويقول الطبيب المخترع ان دواءه الجديد رخيص جداً اذ لا يكلف سوى قروش معدودات وان بامكانه ان يقضي على السل بصورة نهائية كما ان بامكانه ان يشفي المسلولين حتى ولو كانوا في الدرجة الثالثة وهي اخطر مراحل السل .

ويقول الطبيب ايضاً انه جرب علاجه الجديد على عدد من المرضى فحصل على نتائج باهرة .

هذا وقد بدأت وزارة الصحة المصرية بتجربة هذا العلاج للتأكد منه قبل توزيعه .

● اعلنت الشركة الاميركية لاشعة رونتجن صنع جهاز جديد للاشعة المجهولة لمعالجة السرطان يستخدم ٥٠ غراماً من الراديوم ويمكن هذا الجهاز من مكافحة السرطان العميق ، كسرطان الرئة والرأس والرقبة . كما يمكن من مكافحة السرطان الموجود في غير وسط الجسد البشري والذي لا تمكن طريقة الدوران من الوصول اليه. وبوسع هذا الجهاز ان يصدر اشعاعات من قوة مليوني فولت تقريباً .

● يقوم الدكتور روبرت راشمر من قسم الفيسيولوجيا بجامعة وشنطن بتجارب عديدة في ثلاثين كلباً بقصد توسيع المدارك والمعلومات البشرية حول القلب . ويجري الجراح المذكور بصحبة معاونيه عمليات في الاقفاص الصدرية لتلك الحيوانات فيضع فيها الدقيقة تتصل بالخارج بواسطة اسلاك رقيقة جداً تربطها بالات معمولة لتسجيل مختلف الجزئيات كما يوضع انبوب صغير من مواد مطاطة داخل قلب الكلب نفسه .

وبعد الكيفية يقف الدكتور روبرت راشمر واعوانه على معلومات هامة حول حجم القلب وخصائص خفقانه في حالة اكل الحيوان اوسيره او عدوه او استراحته او نومه وقد دلت تلك الابحاث اخيراً على ان القلب يتقلص اثناء النوم فيصبح حجمه نصف حجمه العادي في اليقظة. هذا وقد اتضح ان القلب لا يتمطط اثناء القيام بالاعمال الرياضية القوية بل يتقلص كذلك بنسبة ١٠ في المئة.

واكتشافات الدكتور راشمر تتعارض مع النظريات القديمة عن القلب ويؤكد العلماء المختصون انها قد تؤدي الى علاج مختلف ادواء ذلك الجهاز الحيوي .

● يعتقد سير الكسندر فلمنغ مكتشف البنسلين ان الانسان سيتمكن من السيطرة التامة على الميكروبات قبل عام ٢٠٠٠ ، وقد صرح بذلك في الاحتفال المئوي بانشاء مستشفى سانت ماري بلندن ، كما ذكر ان الانسان لم يكن ليعرف شيئاً عن الميكروبات التي تغزو جسم الانسان منذ ربع قرن ، ولا يزال يجهل بعض هذه الميكروبات حتى اليوم .

● يستخدم اطباء مستشفى هاربر قلباً ميكانيكياً يدير الدورة الدموية لأى مريض خمسين دقيقة متوالية اثناء العمليات الجراحية في القلب. ويعمل هذا القلب الصناعي على تفريغ قلب المريض حتى يستطيع الجراح رؤية داخله بدلاً من الاعتماد على اللمس .

ومهمة القلب الميكانيكي ان يدفع الى الشرايين والاوردة في انحاء الجسم كما كان القلب الطبيعي يعمل تماماً .

● كتب الطبيبان البريطانيان الدكتور رالي والدكتور ماليز في المجلة الطبية البريطانية يقولان ان طفلاً في الثانية من عمره شعر بنفس الآلام التي شعرت بها والدته عند وضعها مولوداً جديداً وقبل ان تشعر بها الام نفسها بدقيقتين .

وظلت الاوجاع تعاود الطفل بين الفينة والفينة لمدة زادت عن الثلاث ساعات . وقد حدث هذا دون ان تبدي الام اي شعور بالالم امام الطفل او تتحدث على مسمع منه عن آلام الوضع.

ويقول الطبيبان انه من المتعذر تفسير الظاهرة بالاستناد الى اية نظرية سيكولوجية من النظريات المعترف بها وربما يصح ان توصف هذه الحالة بانها حالة ادراك حسي ، فوق العادة . ومن الجائز ايضاً ان يكون ما حدث من قبيل الصدفة.

● ينتظر ان يعلن قريباً نص اتفاق بين الحكومة العراقية ومنظمة الصحة العالمية لمكافحة البلهارسيا التي يبلغ عدد الاصابات بها في العراق مليون شخص سنوياً وسوف ينفذ هذا المنهاج خلال عامين وتوفد منظمة الصحة العالمية خبيرين عالميين للاشراف على تنفيذه وتصرف ٢٠ الف دولار في السنة الاولى لشراء الاجهزة والمعدات و ٩٠٠٠ دولار في العام الثاني . وعلم هنا ان الاتفاق سينفذ في اول السنة وتتولى الحكومة العراقية لقاء مساعدات المنظمة الصحية تجهيز فرق للاشتراك في هذه الحملة.

● انتهى مؤتمر علماء النفس والتربية الدولي الذي انعقد اخيراً في روما الى ان الطفل في العصر الحديث قد يكون اكثر ذكاء من والديه ولكن نسبة ذكائه تأخذ في الانخفاض بعد سن البلوغ. ودلت تجارب هؤلاء العلماء في شتى انحاء العالم على ان نسبة الذكاء بين اطفال العصر الحديث آخذة في الارتفاع ولكنها تأخذ في الانخفاض بين من يصلون الى سن البلوغ .

● بدأت اعمال الحفر في المكان الذي سيبنى فيه اول مصنع ذري اميركي لتوليد الطاقة الكهربائية في دنفر . وستبلغ نفقات هذا المصنع ٤٥ مليون دولار .

وتقول شركة وستنكهوس للكهرباء التي تبني هذا المصنع لشركة ديكسن للتنوير ان المصنع الجديد يختلف كل الاختلاف عن اية طريقة اخرى عرفت حتى الان لتوليد الكهرباء. وسيولد المصنع الذري ٦٠ الف كيلوات كهرباء .

● اكد العالم الياباني مينيواكي الاختصاصي في الابحاث الذرية ، في المؤتمر الذي عقد في جامعة هيدلبورغ ، بان الانفجارات الذرية قد اثرت دون اي شك في الاحوال الجوية وقال بانه على اثر التجارب والانفجارات الذرية الاميركية التي جرت في المحيط الهادي ، كان هذا الصيف ممطراً تماماً في اليابان ، كما ان جميع الاحوال الجوية قد انقلبت رأساً على عقب دون ان يكون هنالك اي تعليل علمي طبيعي ..

● اعلن الدكتور ستوارت ايفانث الاخصائي الامريكي في علم التكوين التناسلي امام احد اقسام الرابطة الامريكية لتقدم العلوم ان الاشعاع الذري الناجم عن تفجير القنابل الذرية يعمل على تغيير الجنس البشري في جميع انحاء الارض، وربما يكون هذا التغيير نحو الاسوأ لا الافضل.

وقال العلامة الذائع الصيت ان التغيير كان يحدث فعلاً قبل العصر الذري ولكن ببطء بتأثير الاشعاع الطبيعي للارض ، بيد ان القنابل التي فجرت فعلاً قد جعلت الامر اكثر سوءاً بحيث لو فجر مزيد منها لزادت التغيرات غير المرغوب فيها.

ومضى يقول ليس ثمة مهرب مما استقر عليه الرأي من ان القنابل التي فجرت ستسفر في نهاية الامر عن انتاجات ذرية يعاني افراد كثيرون منها من اوجه نقص وعيوب هذا اذا كتب للجنس البشري ان يبقى على ظهر الارض لاجيال كثيرة .

ثم قال ان الفوائد التي قد يمكن استقاؤها من القنابل الذرية ربما تفوق الاضرار الوراثية او التكوينية التي تترتب على تفجيرها ولكن ثمة

حقيقة عارية وهي ان بشر المستقبل سيكونون مختلفين وراثياً وتكوينياً عن ابناء العصر ولكن مدى هذا الاختلاف رهن بعدد القنابل التي قد تفجر .

وقال الدكتور ستوارت ايفانت انه يخالف الرأي الذي ساقه اخيراً لويس ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية الامريكية وقد جاء فيه ان الاشعاع الناجم عن التجارب الاخيرة في الباسيفيكي قد زاد الاشعاع الطبيعي للارض الا انه لا يزال اقل من المستوى الذي قد يضر بالبشر .

وعقب الاخصائي الامريكي على هذا الرأي فقال انه يبدو ان ستراوس لم يشر الا الى الآثار العاجلة على الذين يتعرضون للاشعاع .

وبعد ان اشار الى ابحاث قام بهـا خبراء آخرون لتأييد وجهة نظره قال ان معظم التغيرات سيئة وقد تسفر في اجيال متعاقبة عن عيوب واوجه نقص عدة من بينها الوفاة المبكرة . والمع الى بعض العيوب التي يمكن ان تعزى الى الوراثة كعمى الالوان وعشى الليل والحساسية لبعض المذاقات وقال انها عيوب طفيفة تافهة بيد ان ثمة عيوباً اخرى ليست كذلك وهي بعض امراض ذات عوامل وراثية تؤثر على العقل .

● صرح البريغادير جنرال البرت ديكوري احد اختصاصيي الجيش الامريكي في التطبيب الذري بان اختراعاً جديداً قد تم صنعه وهو يساعد على المحافظة على سلامة العمال اثناء العمل . وهـذا الاختراع عبارة عن خاتم يحوي على مادة فيها بعض الاشعاع الذري يلبسه العامل في اصبعه . فاذا اقتربت يد ذلك العامل من احدى الالات الحادة فان الاشعاع الذري المنبعث من ذلك الخاتم يحرك آلة توقف سير الالة الحادة وتمنع وقوع الحوادث .

● كتبت مجلة «اركيتكتشرال فوروم» بامريكا مقالاً في عدد سبتمبر بحثت فيه استعمال الاشعاع الذري في مواد البناء فقالت ان الاشعاع الذري يقوي مواد البناء ويجعلها تقاوم النار . فقد برهنت التجارب انه بمجرد تعريض قطعة من البلاستيك لاشعة اكس مدة طويلة فانها تصبح اقوى من قطعة فولاذ بنفس السماكة . وان البلاستيك بواسطة هذه الاشعة يمكن جعله حسب الطلب شفافاً او نصف شفاف او غير شفاف على الاطلاق .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الامريكية بانها سوف تعطي اول آلة تفاعل ذري الى المؤسسة الفنية في ايلينوي . وسوف تجري بواسطتها دروس حول تعقيم المأكولات والادوية واختبار قوة بعض المواد كالبلاستيك والمطاط والزجاج ، ودراسة اسباب الاهتراء ونتائج الاحتكاك وقوة المعادن وامزجتها وفي التشخيص الطبي ومعالجة بعض الامراض .

● عرض في الجناح الامريكي في معرض برلين الصناعي انموذجاً مصغراً عن باخرة تجارية تسير بواسطة الطاقة الذرية . وقد اطلق على هـذه الباخرة اسم « اتوميك مارينر » وهي مثال عن استعمال الطاقة الذرية في الاغراض السلمية . وللطاقة الذرية قوة حرارية هائلة اذ ان الكيلو الواحد من اليورانيوم يعطي كمية من الحرارة تعادل الكمية التي يعطيها الفان وخمسمئة طن من الفحم الحجري .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الامريكية بانها اعلمت الموظفين وعمال المناجم وغيرهم من رجال الاعمال في جنوب غربي ولاية يوتا وجنوبي ولاية نيفادا بانها تحفر الامكنة اللازمة في نيفادا لاجراء سلسلة من التجارب الذرية فيها حوالي منتصف شهر فبراير سنة ١٩٥٥ . وسيشترك في هذه التجارب نظارة الدفاع وهيئة الدفاع السلبي الاتحادية .

● اعلن في وشنطن ان مؤسسات خاصة تحضر برنامجاً لدراسة استعمال الطاقة الذرية للاغراض السلمية مدته سنتان . وقد اعلنت هذا الخبر في نفس الوقت كل من المؤسستين «الموارد للمستقبل» و« لجنة التصميم الوطنية » .

وسوف يركز هذا البرنامج دروسه على استخراج القوى الكهربائية من آلات التفاعل الذري وسوف تقوم لجنة التصميم الوطنية بالقسم الاكبر من العمل وستقدم لها مؤسسة الموارد للمستقبل مساعدة مالية قيمتها ٢٠٠٠٠٠ دولار .

اما مؤسسة الموارد للمستقبل فليست تجارية انما هدفها هو البحوث العلمية في حقل الموارد الطبيعية وقد اسست سنة ١٩٥٢ بالمساعدة مع مؤسسة فورد . وفي يونيو الماضي قدمت لها مؤسسة فورد منحة مالية قدرها ثلاثة ملايين ونصف من الدولارات لمتابعة اعمالها مدة الخمس السنوات المقبلة . اما جمعية التصميم الوطنية فهي كذلك ليست تجارية وقد تأسست سنة ١٩٣٤ وهدفها التصميم في حقول الزراعة والتجارة وقضايا العمال واصحاب المهن .

والمعلوم ان الدروس المقرر بحثها هي انتاج القوة الكهربائية بواسطة الطاقة الذرية وتأثيره على بعض البلدان وخصوصاً تلك البـلدان المتخلفة اقتصادياً .

فسوف ينظر في استعمال المحروقات الذرية بالنسبة لمصادر القوى العادية كالفحم والزيوت والغاز والماء . وافضلية استعمال الطاقة الذرية في تلك الامكنة التي تنقص فيها القوى الكهربائية . وماذا سيكون الدور الذي ستلعبه الحكومة والصناعة في مختلف اطوار التقدم الفني .

● انتهت شركة جنرال اليكتريك من صنع مجهر (ميكروسكوب) يعمل على اشعة اكس ، ويكبر الاشياء التي لا تراها العين ١٥٠٠ مرة ، ويمكن بواسطته دراسة تركيب المعادن والخلايا العظمية والانسجة الحية وكذلك الاعضاء الداخلية في الحشرات الصغيرة والاشياء الاخرى غير الشفافة .

● اذاعت الوكالة البرقية الرومانية ان جاء من المعاونين في فرع الميكانيك العامة التابـع لاكاديمية العلوم في رومانيا ، قد اخترعت مصفاة للاصوات ، مهمتها وقاية عمال صناعة التعدين من الاذى الذي يصيب الآذان وكل العضوية من جراء الضجيج الصاخب وهذه المصفاة لا تدع اية ضجة شديدة تصل الى الاذن ، ولا يتسرب منها غير الصوت البشري . وقد اعطت التجارب التي اجريت على هذه المصفاة نتائج حسنة .

● صرحت شركة سبري باستنباطها جهاز رادار صغير من طراز جديد لاستعماله في الطائرات حيث الفراغ والوزن لهما اهمية عظيمة ، وقد ادعت بان جهاز الرادار الجديد هو اصغر جهاز رادار واخفه وزناً كما انه ذو قوة عالية ومدى واسع للطائرات ، فهو سيمكن ربابنة الطائرات من السير في طرق جوية لم تطرق من قبـل ، واكتشاف العواصف البعيدة وافضل الطرق ذات الطقس المؤاتي ، كما انها تنبههم الى قمم الجبال والطائرات الاخرى عندما تحلق على ارتفاع يتجاوز ٥٠ الف قدم ، ويبلغ مجمـوع وزن الجهاز باسره ١٥٠ ليبرة .

● اعلنت شركة «يونيتدستاينس ربر كومباني» انها اكتشفت مادة جديدة تساعد مربي الدجاج على التخلص من نمس الدجاج .

اما النمس فهو يمتص دم الدجاج ويقلل البيض وقد ظهر من التجارب ان هذه المادة تقتل النمس ولكنها لا تؤذي ولا تسمم الطيور وقد كانت هذه المادة موضع التجارب لمدة ثلاث سنوات قبل ان يسمح بانزالها الى السوق التجارية .

● اجتاز جهاز غريب بعد ظهر يوم ١٧ الشهر الماضي سماء روما وقد تمكن مرصد مطار شامبينو من مشاهدته طيلة اربعين دقيقة ، وشكل الجهاز يشبه « نصف سيكار » ويسير بسرعة خفيفة على ارتفاع ١٢٠٠ متر وكان الجهاز يخلف وراءه

خطاً من الدخان ينبعث من مؤخرته الضيقة . ولاحظ مرصد مطار شامبينو ان الجهاز هبط فجأة اربعمئة متر وسرعان ما عاود ارتفاعه الاول بصورة عمودية ، وفي الوقت الذي كان الجهاز يبتعد فيه ابلغ مطار شيامبينو وجوده الى محطة المراقبة الموجودة على بعد ٣٠ كيلومتراً من روما .

وقد تمكنت هذه من تتبعه طيلة عشرين دقيقة بالرادار ، وقد اشارت هذه المحطة الى وجود « هوائي » في الجهاز ، وقد استبعد مرصد اربر ان يكون هذا نيزكا ، اذ لم يخترق سماء روما اي جسم سماوي خلال ذلك اليوم .

وقد لوحظ وجود هذا الجهاز في الساعة السادسة عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين ثم اختفى باتجاه البحر .

● نشرت الصحف البريطانية في صفحاتها الاولى الصور الرسمية الاولى لطائرة رويس رويس التجريبية التي تحلق دون اجنحة او محركات والتي اصبحت تعرف عامة باسم « السرير الطائر » .

وهذه الطائرة الجديدة مشكلة من هيكل ركبت فيه آلتان نفاثتان تواجه احداهما الاخرى ، بينما يكون اتجاه قوة النفث الى الاسفل لجعل الطائرة ترتفع . ويجلس الطيار على مقعد فوق الآلة ويقود الطائرة باستعمال قضيب القيادة الهادي وقضيب آخر ينظم حركة الهواء المضغوط ويشرف على حركات الالة النفاثة .

وقد حلقت طائرة « السرير الطائر » مرة في بداية الشهر الماضي على علو مترين او ثلاثة امتار وبعد ذلك حلقت مرة اخرى الى علو ثمانية امتار .

● اعلنت المؤسسة الجغرافية في لاجالا في ولاية كاليفورنيا بان مركبين يقومان بابحاث علمية لمعرفة ما اذا كان هناك بعض الفجوات البحرية التي لم تكتشف قد اكتشفا ، فجوة تحت الماء يبلغ عمقها عشرة الاف متر وتقع هذه الفجوة على بعد ١٤٠٠ ميل من زيلاندة الجديدة .

● ظهرت في الاسواق آلة اخرجها احد المصانع البريطانية تستطيع عد الفي قطعة نقود معدنية من فئة الخمسة بنسات في دقيقة واحدة . وهذه الالة يمكن تحويرها كي تعد اي نوع من القطع الاخرى دون اعتبار حجمها او كثافتها . وبالامكان ايضاً جعلها تعد حتى مئة الف قطعة وهي تعمل بواسطة محرك كهربائي خاص .

● قدم ممثلون عديدون لارباب المعامل من مختلف بلدان العالم الى مركز علمي يقوم على مقربة من لندن حيث شاهدوا محركاً جديداً يستغني عن المحروقات السائلة ويصلح ان يكون مصدراً للطاقة في الاقاليم الجبلية .

وينتج هذه الطاقة على اساس رخيص وبالامكان ان تصنع منه نماذج متينة يسهل حملها وباستطاعته ان يساعد في رفع مستوى الحياة في المناطق النائية القصية ويمهد السبيل لحراثة الارض وزرعها ومن المميزات التي يتفرد بها استخدامه الوقود الرخيص من جميع الانواع والفئات سواء اكان ذلك الفحم الرديء او الهشيم او النفايات في المزارع والاوساط الصناعية وروث الجمال . ويتألف من ثلاثة اجزاء اي من فرن للوقود ومن مولد للبخار ومحرك . وعلى الرغم من انه لا يزال في مرحلة اختبارية بيد انه سيلعب دوراً رائعاً في الاعمال الزراعية والصناعية في المناطق الجبلية النائية وسواها .

● دلت الابحاث التي قامت بها البعثة الاثرية التي يرأسها المستر ماسون في الكهوف الثلاثة التي اكتشفت في وادي « ما كابان » شمال الترنستال على ان سكان الكهوف في جنوب افريقيا كانوا يعرفون طريقة اشعال النار منذ اكثر من مائة الف عام . كما اكتشفت في تلك المنطقة بضع مساكن يرجع عهدها الى العصر الحجري .

وصرح المستر ماسون بان هذا الكشف يؤيد الكشف الذي تم حديثاً في الصين ، في كهف شو – كو – تين على مقربة من بكين .

● بدأ العلماء يفحصون اكثر من خمسمائة صورة فوتوغرافية ملونة للمريخ اخذت عندما كان اقرب ما يكون الى الارض لاول مرة منذ ١٥ عاماً . ويحاول هؤلاء العلماء حل المشكلة المزمنة « هل في المريخ حياة ؟ » .

ولاول مرة منذ عام ١٩٣٩ يصبح المريخ

على بعد ٦٤ مليون كيلومتر من الارض وقد تجمع العلماء في ١٨ مرصداً في ١٠ دول محاولين حل اللغز .

ويقول العلماء ان الكوكب قد تغير عما كان عليه منذ ١٥ عاماً ولكنهم لا يستطيعون الادلاء بتفاصيل هذا التغير الا بعد دراسة الصور .

وسيوالي العلماء تصوير المريخ مدة شهر يحصلون خلالها على ٥٠ الف صورة من مختلف مراصد العالم وقد تم حتى الان تسجيل ١٠ الاف صورة .

وذكر الدكتور فترجيرالد الفلكي الارلندي ان التقدير النهائي لقيمة الصور المأخوذة للكوكب يتطلب اكثر من ستة اشهر .

● اعلن الدكتور تشارلز ليون رئيس قسم النبات في كلية دارموث ان حجر الصوان المسحوق يحوي مواد مثل مواد الاسمدة الكيماوية التي تساعد خاصة على نمو بعض الاعشاب ولكنها لا تنفع لمواسم البندورة او الذرة او التنباك .

● ادلى البروفسور فانربت لوار استاذ علم الحفريات والاثار القديمة في جامعة «ويتوترسراند» بحديث قال فيه انه نتيجة لابحاثه التي قام بها طيلة حياته في دراسة انسان ما قبل التاريخ في افريقيا قد ثبت ان الجنس البشري نشأ في بادىء الامر في افريقيا ثم هاجر الى اوروبا وآسيا .

وقال « اني مقتنع بوحدانية الجنس البشري فهناك جنس واحد على الارض هو الجنس البشري وكل انسان ينتمي اليـه سواء اكان اسود او ابيض او اصفر » .

واكد البروفسور ان الجنس البشري من اصل مشترك والرجل الاول نشأ في افريقيا . والنتيجة الاخرى التي توصل اليها من دراسته هي ان تطور الانسان الجسماني تم منذ وقت طويل ، وان التطور الذي يحدث اليوم يجري على اساس روحي .

● عرض القسم الجيولوجي في متحف العلوم الطبيعية في فيروني بايطاليا نموذجين من السمك المتحجر الذي عثر عليه العلماء اخيراً يبلغ عمره نحو ٤٠ مليون سنة ويقال ان هذا السمك كان موجوداً في العصر الايوسيني . وقد وجد في منطقة كانت بحيرة غنية بانواع الاسماك والحيوانات المائية القشرية . وكانت حولها غابات من النخيل فيها تماسيح وسلاحف كبيرة .

وعندما حدثت تطورات التوائية ادت الى ظهور جبال الالب ارتفعت البحيرة ٨٠٠ متر ، فجف ماؤها وتحجرت اسماكها بعد ان غطتهـا طبقات من الارض .

● اجتمع اخيراً في روما علماء من اكثر من ثلاثين دولة ليبحثوا الخطط التي يجب اتباعها للقيام بفحص عام للارض سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ . وستقوم هذه الدروس بقياسات مهمة مثل قياسات اعماق البحار وقياسات الطبقات العليا من الجو على ارتفاع مئة ميل عن سطح الارض . وذلك بواسطة الصواريخ المزودة بالالات اللازمة .

وبما ان الشمس هي العامل الاساسي في الكثير من القضايا الجغرافية الطبيعية وخصوصاً تلك التي تتعلق بالطقس والمراسلات اللاسلكية فقد قرر العلماء البدء في دروسهم سنة ١٩٥٧ - ١٩٥٨ وهو الوقت الذي تكثر فيه البقع على سطح الشمس والاضطرابات الشمسية الاخرى .

هذا وقد اعلنت الولايات المتحدة بانها سترسل بعثة علمية الى القطب الجنوبي تبقى هناك مدة تتراوح بين الاربعة والخمسة اشهر . وسوف تضع هذه البعثة الخرائط عن تلك البقعة وتجمع المعلومات العلمية وذلك في سبيل تقديمها في المؤتمر الجغرافي الطبيعي الذي سينعقد عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ .

● يقول الدكتور يانريجي استاذ الرياضيات في كلية الهندسة في كالكتا ان الهند سوف تمنى بحوالى ٢٥ زلزالاً عنيفاً في المائتي عام المقبلة بمعدل زلزال كل ثماني سنوات .

ويقول الاستاذ ان هذه الزلازل ستكون من الشدة بحيث تدمر مدناً ومناطق برمتها وسيكون لبعضها قوة المليون قنبلة ذرية وقد يكون بعض الزلازل ضعيفاً فيشقق الجدران ويحطم المداخن والمباني المتهدمة .

ويقوم الدكتور يانريجي الذي كان مديراً عاماً للارصاد في الهند بدراسات عميقة عن الزلازل في مناطق جبال همالايا وذكر ان الزلازل تحدث في همالايا بمعدل ثلاث او اربع مرات في اليوم .

● رجع عشرة علماء اميركيين من رحلة علمية الى القطب الشمالي استغرقت شهرين وقد حددوا تماماً مركز القطب المغنطيسي الشمالي وقد زود السيد وبابرد دو محامي الاميرالية في نيويورك هذه البعثة بالمال اللازم وقد وجد اعضاء البعثة دلائل كافية عن وجود كميات هائلة من الزيوت تحت الثلوج القطبية .

● اطلقت ذرات غاز الهيدروجين على دماغ احد المرضى بالسرطان الدماغي الخبيث وذلك بواسطة السيكلوترون الجبار الموجود في جامعة كاليفورنيا باميركا وقد اطلقت تلك الذرات الى النقاط العميقة في الدماغ وكانت هذه العملية اخر محاولة لانقاذ حياة ذلك المريض .

ولم يكن حتى الان الاشعاع الذري القوي قد سلط الا على الحيوانات في المختبرات .

والمعروف ان السرطان الذي يصيب اجزاء ظاهرة في جسم الانسان يعالج بطريقة جديدة تشبه العلاج القديم بالراديوم فهم يسلطون الاشعاع الذري على مواد مثل اليـود فيتشبع به فتستعمل هذه للعلاج .

وقد قال السيد ستراوس رئيس لجنة الطاقة الذرية ان اهمية هذا العمل ناتجة عن امكان استعمال البروتونات بكميات كبيرة دون ان تؤذي الخلايا الصحيحة في انسجة الجسم وسوف ينحصر استعمال هذا العلاج في مرض السرطان الذي بدأ ينتشر في الجسم والذي لا تفيده العلاجات الاخرى ولا العمليات الجراحية .

● اذاعت البحرية الاميركية انها توصلت الى انتاج نوع خاص من الزجاج ينـذر بوجود الاشعاعات الذرية بان يتغير لونه .

ويستخدم هذا النوع من الزجاج في حماية الناس من التعرض للاشعاعات الخطرة ، ويشتمل الزجاج الذري على كمية من الفضة ، وهو عديم اللون ، وعندما يتعرض لاشعة الجاما (الاشعة المنبثقة من الراديوم) يصير برتقالي اللون اذا سلطت عليه الاشعة فوق البنفسجية .

● يتكهن الصيدلي الايطالي زاربانو من جزيرة صقلية بان نهاية العالم ستقع بعد ٢٠ عاماً . وهذا الصيدلي الملم واسع بعلم الطبيعة وقد بنى تكهنه على الاساس الاتي وهو ان الانفجارات الذرية الاخيرة اطلقت اجزاء ذرية مشعة في الفضاء وان هذه الاجزاء سيجذبها ما في باطن الارض من معادن مثل الحديد والكوبلت فبعـد ان تنتهي الدورة الطبيعية لتلك الاجزاء الذرية ستتجمع حول مركز الارض المعدني وعندئذ سيحدث اكبر انفجار ذري يقضي على الكوكب الارضي .

ويقول هذا الصيدلي ان هذه الدورة سوف تتم خلال ٢٠ سنة .

● تفيد انباء طوكيو ان البـروفـور تاكاجيروماوي الاستاذ بجامعة طوكيو ، قال ان عدد الاسماك المصطادة من مياه الباسفيكي والملونة بالاشعاعات الذرية اخذ في الازدياد وقـال ان ١٨٨٦٠٠ رطل من السمك الملوث قد اتلف في شهر مارس وهبط هذا الرقم الى ٤٩٠٠٠٠ رطل في شهري يونيو ويوليو ولكنه عاد فارتفع الى ١٠٢٠٠٠٠ رطل في شهر اغسطس .



الاغنية الخالدة*

للآنسة صفية ابو شادي – شعر – ١٧٦ صفحة
منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة

– ١ –

الشعر تعبير جميل صادق عن واقع النفس، او واقع الحياة، او ثورة عليها، وتوجيه الى نفس أسمى، وحياة أرقى، ودنيا رحيبة، تتحقق فيها الرغاب والآمال.

واسلوب هذا التعبير أو طريقته قد يساير – في الغالب – المألوف، وقد يغايره، وتقتضي المغايرة الجرأة، والطرافة، والأصالة، للتعبير عن المحتوى النفسي، او الواقعي.

وقد اتخذ الشعر العربي – من قرون وقرون – البحر والقافية من العناصر الجوهرية في اسلوب التعبير. ووجد المحدثون فيها أداة مريحة، ووسيلة سائغة، ترسبت في الاذهان وامتلأت بها الآذان.

وما كانت الأداة – في يوم من الايام – شعيرة منزلة، إنما هي أداة تقليديه موروثة، تجري عليها سنن التطور والتجديد، وفقاً للتقدم الفني، وتبعاً لميول الشاعر وروحه المتحررة.

ولهذا لم يجد كبار الشعراء – على ولاء الاجيال – حرجاً في التحرر، من أمر بعض عناصر الاساليب النظمية الموروثة او كلها، فقد خرج امثال شكسبير وملتون ووردزورث، وكيتس، وبرونتج، على القافية في شعرهم المرسل، حيث وجدوا في رحابه القدرة على إبراز معانيهم في دقة، ولم تعوز موسيقاهم الرخامة. كما وجد كثير من الشعراء المحدثين – من امثال الشاعر الامريكي الكبير «والت هويتمان» – ضالتهم في الشعر الحر الثائر على البحر والقافية، واعتمدوا في اسلوب التعبير على التناسق الفكري، او التوحد العاطفي، وعلى الايقاعات المرنة المتدفقة، ولم يخل هذا الشعر من نظام خاص، يحاكي حركات الامواج الكبيرة والصغيرة على شاطىء اليم

وتابع هذا الاسلوب المتحرر طائفة من شعراء الغرب المعاصرين، من أمثال: ت. س. إليوت الشاعر الانجليزي الجهير، وأراجون، الشاعر الفرنسي النابه، ونهج نهجهم بعض شعراء ابولو، وكوكبة من شعراء سوريا ولبنان، وكثير من شعراء العراق، وعلى رأسهم: بدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وكاظم جواد، ونازك الملائكة، وبلند الحيدري ولهم في هذا الدرب تجارب قيمة، وإيقاعات شائقة، لا ينقصها التناسق والوحدة الانفعالية، وهما عمود هذا الشعر المكين.

والى جانب هذه الطريقة الاسلوبية المتحررة، وجدت طريقة اخرى مصاحبة، هي الشعر المنثور، وهي أبعد تحرراً واكثر تدفقاً، وبعداً عن أسر التفاعيل، وأدنى اتصالاً بتموجات الفكر والعاطفة، واوسع قابلية للصور الوصفية والرمزية، وأشد لصوقاً بالطبيعة، والتحرر من الافتعال.. وبعد جبران ومطران ومي من روادها، وتابعتهم طائفة من الشواعر النابغات المعاصرات بينهن: سهير القلماوي، وثريا ملحس، وهند سلامة، ومؤلفة هذا الديوان: الآنسة صفية زكي ابو شادي.

وقد استطاعت صفية بديوانها «الاغنية الخالدة»، أن تقدم الدليل المبصر على قدرة الشعر المنثور على استيعاب المعاني الدقيقة، والاعراب عن مشاعر القلب العميقة، في نسيج لفظي طبيعي، وتصوير بديع رفاف.

وقد أحسنت كل الاحسان في التزام طاقتها، فقصرت شعرها على ما شعرت به، وما فكرت فيه، إذ دارت قصائدها حول واقعها النفسي، وخواطرها الوجدانية التأثرية، ودنيا الطبيعة الصامتة والناطقة، وعالم التأملات والتصوفات. اما دنيا الواقع فقد اكتفت منه بنثرات، وقد عبرت عن هذه العوالم جميعاً في بساطة لفظية محببة، وايقاعات هادئة ناعمة، وصور وصفية آناً، ورمزية مقبولة شهية آناً آخر.

وألوان شعرها المنوع، قد مزج مزجاً قوياً بشعر الطبيعة، وكأنما الطبيعة وهبتها مادة شعرها. بل كتبته لها – كما يقولون – وآية ذلك قصيدتها الوجدانية «السر» وهي من ابدع قصائدها وفيها تحدثت عن سرها الدفين، وهو حب طهور دف بقلبها،

* تلقينا في بريد واحد من الاستاذ مصطفى السحرتي والاستاذ وديع فلسطين هذين المقالين في تعريف «الاغنية الخالدة» وقد رأت الاديب نشرهما معاً.

تريد الافضاء به ، وهي – في تناولها هذا الموضوع – تتحدث حديثاً مباشراً ، عن هذا السر ، ولكنها اشركت الازهار والنجوم في الحديث ، فافضت بسرها الى ازهار حديقتها ، وفي جولة لها وجدت الاشجار تهمس بعضها لبعض ، ثم ألفت أزهاراً اخرى متجمعة تختلس النظر اليها ، وقد علمت سرها من ازهار حديقتها ، ثم اسرت بسرها الى نجمتها المحبوبة ، وفي عودتها الى دارها ، آنست نجمة تغمز لأختها وتبتسم ! وعلى هذا الطراز الفريد سارت الشاعرة في الكشف عن حبها ، بطريقة مجازية ، مستعينة في ذلك ببنات الطبيعة ، وقد حشدت هذا المشهد في لوحة كبيرة حية ناطقة ، رفافة بالظلال والاضواء .

وشعرها المستقل في الطبيعة ينم عن باصرة حادة ، وبصيرة نفاذة ، في رحاب الطبيعة اذابت همومها ، وانبعث روحهـــا واستلهمت اعذب خواطرها ، واجمل احلامها ، وآية ذلك قصيدتها « وحي الشاطىء » التي تقول فيها :

النجوم تنظر إلي في تعاطف ودي ، لاني افهمها وهي تفهمني ، والامواج تهدأ عند قدمي ، لأني اسمع صلاتها وهي تجيب صلاتي ، واشعة القمر تربت على شعري ، لأني أحبها وهي تحبني ، بينما اقف هادئة أتعلم لغة الطبيعة ، وأدرك سر الحياة .

ويشف إحساسها بحب الطبيعة والاندماج فيها ، حتى لتسمع أغنية الكون في ارجائها ، أغنية لا يسمعها الا ذوو الارواح الصافية ، والقلوب المتصوفة ، ومن ابدع قصائدها ما جاء في الفقرة الثانية من قصيدتها « الاغنية الخالدة » التي تقول فيهـا :

اسمع اغنية الحياة تنبض في الكون ، وترددها الطيور والازهار والجداول والنسائم ، واتلقى صداها في قلبي ، فتغمر نفسي موجة من التفاؤل والحب ، واتجه الى ربي في نشوة وابتهال ، لأنه جعلني ادرك واحس بالجمال حولي ، وحينما اذوب في الاغنية الخالدة ، اعرف اني اكون لحناً واحداً من الحانها المتداخلة ، التي تصدر من ادنى حشرة واصغر نبات في الكون ، تلك هي « سيمفونية » الطبيعة الرائعة

ويبلغ بها الهيام للطبيعة ، فتذكر في قصيدتها « عندما يحل المساء » انها تركت بقايا قلبها المحطم وسط الازهار الحمراء والزرقاء وفي مروج الطبيعة الخضراء ، بل يبلغ بها الاسى مبلغاً عندمـا تمر هي وصاحبة لها في الحديقة ، فتجد شجرتها المحبوبة التي نقشت عليها اسمها ، قد زالت ، ولم تبق الا الحفرة التي عاشت بهـا ، وهي تعبر عن هذه الخاطرة في نغم شجي ، تقول :

اينها الشجرة المثوية ، إني أرثيك اليوم ، وقد عدنا اليك بعد فراق طويل ، فلم نجدك ، ورأينا مكان جذعك المتين حفرة بائسة ، آوتك سنين عـدة ، وذهبت الذكريات مطوية في اوراقك ، وما لنا حاجة بها ، وقد نقشت على صفحات قلبينا ، فلا تمحوها قسوة الدهر ، او عاديات الزمن

وعلى مثل هذا التوله بحب احياء الطبيعة ومرائيها ، جرت كثرة من قصائد صفية ، ويخيل الينا عند قراءتها ان اطياف الشعراء الابتداعيين امثال وردزورث ، وشيلي ، ولامارتين ، ترفرف علينا ، وتدف باجنحتها في جوانحنا .

والى جانب هـــذا الشعر الطبيعي الكثير في الديوان ، ازدهر لونان من الشعر آخران : احدهما الشعر المجازي ، وثانيهما الشعر الموضوعي الرمزي ، ومن ثمـــرة اللون الاول قصيدتاها : « الأصداف » و « شجرتان » ، وفي الاولى تشبه القلوب التائهة بالاصداف الحـــائرة ، وبعض القلوب السوداء بالاصداف العابسة ، والقلوب الصافية بالاصداف الوضاءة ، وأنها وجدت جميع القلوب ممثلة في تلك الاصداف المبعثرة على الشاطىء ولكنها لم تجد واحدة منها تمثل قلبها ! وفي القصيدة الثـــانية « شجرتان » وهي من درر الديوان ، تشبه الشاعرة البؤس بشجرة ذات زهر أحمر ترويها بدمها ، وتشبه السعادة بشجـرة ذات زهر أزرق صاف ، ترويها بدموع فرحتها ، والشجرتان كانتا تحت نافذتها تقيمان ، وكانتا في الطول على سواء ، ولكنها رأت يوماً وبعد سنوات قلال ، ان شجرة البؤس اخذت تنمو طفرة وبسرعة عجيبة ، على حين وجدت شجرة السعادة قـــد صوحت اوراقها الزرقاء ، وجف ساقها .

وهذا لون من الشعر كثير الدوران في شعر الغربيـين ، وندر مثيله في الشعر العربي .

وقد حفل الديوان بشعر رمزي في موضوعه ، امكننـا التفطن الى فكراته بعد إمعان ، وشواهده ماثلة في قصـــائد « الشبح » ، و « وسط المحيط » ، و « فرار وعودة » . وهي – على ما نظن – تقصد بـ « الشبح » صديقاً يمر كل ليلة تحت شرفتها ، يبث القمر والنجوم شكواه ، ويستند الى جدار المنزل ، ينظر الى نافذة مضيئة ، لا يحول بصره عنها ، حتى يختفي قبس النور من النافذة ، لينداع كما تقول الشاعرة ، في فؤاد ذلك الشاب الحزين .

وفي قصيدة « وسط المحيط » نرى الشاعرة تتحدث عن طيف ، يسير هادئاً وسط الامواج ، او واقفاً عند الشمس الغاربة ، او قابضاً نجمة في حقول السماء الزاهية ، ينظر اليهـا في عطف ولا يحدثها ، ولكن عينيه تنطقان بكلمات .. فتصغي اليه في خشوع وحنان .. ولعلها تقصد صديقاً محباً فارق الحيـــاة ،

وذكراه لا تزال منقوشة في قلبها .

واما قصيدة «فرار وعودة» فموضوعها معتقد كثير الاضمار، وهي تتحدث عن حارسين لها: احدهما ملائكي ، والآخر آدمي اخفق كلاهما في إرجاعها عن عنادها الهدام ، وشطحاتها في يوم من الايام، ويئس الحارس الاول، وظل الثاني يتابع خطواتها، حتى عادت الى البر سالمة ، وثابت الى حارسها الأمين ، ولكنها ما كادت تصل الى كوخه حتى رأته خاوياً !

ولعل الشاعرة تعني ان الصدوق قد يفلح فيما لا يفلح فيه الضمير ، وقد لا تعني هذا ، ونحب ان ندع القارىء يكتنه ما يرقد وراء هذا القصيد ، بعد تلاوته مرات ، في تمعن واناة .

وثمت الوان شعرية اخرى وعاها الديوان ، ومن بينها شعر الحلم والتخيل البعيد ، وشاهد ذلك قصيدتها « مملكة في السماء » وهي قصيدة جامعة الى الاحلام صوراً عجيبة من الخيال الطائر ونثرات من تموجات اللاشعور ، وهذا اللون الشعري ينم على ذكاء الروح ونشاطها ، وهربها من دنيا الواقع ، ومتاعبها وهمومها .

ويتآخى هذا اللون مع شعر التصوف ، وتمثله قصيدتها « تصوف » التي جاء فيها :

في حلم هادىء جميل : رأيت ملاكاً كريماً واقفاً ، عند قدمي ، ينظر إلي في عطف، ولما رفعت بصري اليه قال: لماذا تخافين الغد وتخشينه ؟، ولم تسألين النجوم عما يخفيه لك القدر ؟ ، وتضرعت الى القمر ليرشدك ؟ ، لم تكن النجوم في ذات يوم بعالمة للغيوب ، ولن يصبح القمر صديقك يوم الشدة ، أغمضي عينيك وتوجهي في ثقة وإخلاص وايمـــان ، الى رائدك الوحيد ، الى ربك إله السماوات والارض .

والملحوظ ان الديوان فاض بشعر الخواطر التأثرية ، وهي خواطر فردية ذاتية حيناً ، وقد سجلت في الديوان من قبيل الذكريات ، والبعض الآخر تروي واقعها النفسي ، وتجاريبها الوجدانية ، وهذه الخواطر الاخيرة تتحول الى تجارب عامة ، وتطبق على بنات جنسها ، او على الجنس البشري بعامـــة ، ومصداق ذلك قصيدتها « ذات الشعر الذهبي » التي تروي فيها امنيتها في ان يكون لها شعر ذهبي كشعر رفيقة لها ، لتكون في مثل سعادتها ، وهذه التجربة الفردية تحور تجربة عامة ، لأنها تحكي تطلع الجنس الآخر الى المثل الاعلى ، والى الاكتمال ، ونوازعه الى الطموح والتملك ، وقصيدتها « المفتاح الذهبي » تدور في هذا النطاق ، وقصيدتها « الزورق الصغير » وهي من اروع قصائدها ، والتي تصف فيها صراع الزورق الصغير مع موجات البحر العاتية ، والرياح الثائرة المزمجرة ، وهي تمثـل حقيقة الجنس الآخر ، والوديعات المؤمنات منه ، وبخاصة اللائي يلاقين احداث الحياة ، وضربات القدر العمياء ، في شجاعة وتجلد واصطبار . . اما قصائدها الاخرى المتراوحة بين اليأس والامل ، والحزن والفرح ، والقلق والاطمئنان ، والهدوء والثورة ، فهي تفسير لتهيؤ الجنس الآخر لمثل هذه التقلبات المزاجية .

ولو اردنا ان نتعمق سمات الجنس الآخر فيما اضمر هـــذا الديوان ، او جهر به ، لما انتهينا ، وحسبنا ان نجمل بعض هذه السمات في : الدوران حول النفس ، وشاهد ذلك قصيدة «يأس» والتفوق في التصورات الذهنية ، وقد رأينا شواهد ذلك في قصيدة « شجرتان » ، والتعبير عن مخاوف العقل الباطن ، وآماله واحلامه ، بلغة رمزية ملفوفة ، كما رأينا في قصيدة « السر » ، وقصيدة « الشبح » وغيرهما من القصائد الاخرى .

والميل الى التعبيرات والصور الرمزية ظاهرة ملموسـة في الادب النسوي ؛ يلمسه القارىء في ادب : مي ، وشعر جميـلة العلايلي ، ونازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، وثريا ملحس ، وجليلة رضا ، وهند سلامة ، ودعد الكيالي ومثيلاتهن من الاديبات وإذ كنا نعتز بالقيمة الفنية لشعر الديوان الطبيعي ، والتصوفي ، والوجداني ، فان مما يزيد اعتزازنا به ما وعى من تجارب شعرية ، تومىء الى سمات الجنس الآخر ، وتوسع معارفنا السيكولوجية عنه ، وفي هذا ما فيه من غنى أدبي وسيكولوجي معاً .

ونود ان نكرر ان الشاعرة التزمت نطاقها ، وكانت صادقة في الاعراب عن دنياها ، فاثبتت وعيها النفسي كفرد ، ووعيها العام بجنسها ، اما وعيها كعضو في المجتمع فلم يتضوأ في هـذا الديوان ، وان كانت مست هذه الناحية مساً خفيفاً ، في مثل قصيدتها « تأملات » ، وفي قصيدتها « فرار » وقد جـــاء في القصيدة الأولى :

في ضوء المصباح رايت عاملا مسكيناً يمر امامي ، متدثراً بجلبابه الخفيف، وقد شد جزءاً منه على رأسه ، ثم مر آخر ، وآخر ، احياناً كنت ارى صبياً ، واحياناً امرأة عجوزاً ، ولكنهم كانوا جميعاً يمرقون تحت المصباح ، مندفعين في ضلالة ، صوب اي ملجأ يقيهم ، من مياه الامطار المتدفقة ، بينما اظل واقفة في دفء حجرتي ، انظر من نافذتي ، الى الاشباح التي تمرق تحت ضوء المصباح ، وتختفي في الظلام ، المطر يتدفق في الطريق ، ولكن قلبي لم يبتل .

فهذا الشعور الاجتماعي ما كاد ينبثق ، حتى ارتد الى الشعور بالذات ، وهو إرهاص على اية حال بالوعي الاجتماعي . . وكذا الحال في قصيدتها « فرار » التي تروي فيها زروة لمنزل احدى صديقاتها ، وصفت فيها اضطراب المنزل وفوضاه ، فصديقتها

تغسل الملابس المتراكمة ، وحين رأتها وجدتها وسط بحيرة ماء، وقطة المنزل تتغزل في طبق السمك ، وتخطف سمكة وتفر بها واجزاء السرير اخرجت للتدفئة في الشمس ، ومحمد اخ لصديقة منهمك في تنظيف البهو ، وهذه دبابة كبيرة تتجه نحو الشاعرة فما هي ذي صديقتها تحمل المراتب ، فتنكفيء وتسقط حملها على الشاعرة التي لم تجد مناصاً الا الفرار .

وبهذه القصيدة اللطيفة تخطو الشاعرة نحو الواقعية الوصفية، وتكشف عن روحها المتندرة ، وحاستها الفنية في التقاط لمسات تصويرية بارعة ، وان كان الاحساس بالجمال غالباً على طبيعتها .

وأود ان ألفت النظر الى أني في تقدير هذا الديوان لم انظر الى نوع المضمون الاجتماعي فيه، بل نظرت الى تجربة الشاعرة: جمالية او عاطفية او روحية ، والى مدى توفيقها في تأدية هذه التجربة ، والحق ان الشاعرة قد وفقت في تأدية معظم تجاريبها ورؤاها، وان طائفة من هذه التجارب جذبت إعجابي ، لطرافة موضوعها او أصالة الفكر فيها ، او براعة تصويرها، ولما يكمن في بعضها من اسرار فنية .. وكل فن شعري حقيقي ترقـــد فيه اسرار واسرار .

وحسب الشاعرة انها صدقت في التعبير عن نفسها ، وعن سمات جنسها في غير وعي منها، وعن بعض مظاهر الحياة حولها وانها كانت تبعث في نفسي انفعالاً ، او جواً جمالياً ، او حالة نفسية ، او مفهوماً عاماً لنوازع الجنس الآخر .. وهذا ما يصبو الى بلوغه كل فنان .

فقصيدتها « في سكون الليل » تبعث في قارئها نشوة جمالية مؤنسة ، وقصيدتها « الاجراس » توقد في القاريء انفعالات منوعة ، وجواً شاعراً ساجياً جليلا ، وقصيدتهـــا « صديقي الوحيد » التي تتحدث فيها عن كلبها العاطف الأمين ، تكشف عن مفهوم عام، هو تجارب الحيوان مع الانسان الشفيق العاطف

وهكذا نجد كثيراً من القصائد لها اثرها الجمالي والانفعالي والروحي ، عند التحليل النزيه .. والديوان في الحق يخفي من اللمحات الفنية ، والاسرار الباطنية ، اكثر مما يظهر .

وحق علينا في النهاية ان نهنيء صاحبته ، راجين ان تخرج من صومعتها ، لتتابع جهودها الواعية ، مع العاملات في الحقل الادبي ، لبذر بذور نقية ، في البيئة العربية ، المتشوقة لثمرات اقلام الكاتبات ، ونفثات الشاعرات النابغات .

القاهرة — مصطفى السحرتي

- ٢ -

أرسلت

صفية أبو شادي النفس على سجيتها ، وترسلتْ مع الخيال، تصاحبه أينما اتجه ، فركبت متن السحاب، وامتطت امواج البحار ، وتسنمت قنن الجبال ، وهامت بين المروج الخضر ، وضربت في الارض ، تهيم وراء امر تتوق اليه البشرية جميعاً ، عساها تبلغه ، ذلك الامر هو السعادة في عـالم يبدو خلواً منها. فهل وجدتها ؟ كلا ، لان السعادة كالعصفور الشارد ، لا يكاد يحط على غصن ، حتى يقفـز الى سواه ، فاذا استشعر أن قناصه يهم به ، فر الى حيث لا يبلغ، ليعود سيرته الاولى ، راقص الخطو ، راعش البدن ، خفيف الوطء، سريع القفز ، مختالاً مزهواً ، منطلقاً في اجواء غير ذات حدود .

وكلما حسب المرء أنه بات من السعادة قريباً ، قريباً ، استبان مع الصبح ضلاله، لأن السعادة المرتجاة بعيدة، بعيدة، منالها استعصى على البشر ، ودوامها من المحال ، تتربص بها قوى الشر ، فتاكة مستبدة ، وتنهشها سنن الارض، فتبليها في جدتها، وتخنقها وهي في عمر الزهر .

وفي سبيل البحث عن السعادة ، خطرت صفيـة أبو شادي بقلمها على الطرس، فجاء هذا الكتاب سجلًا للدروب التي سلكتها، والوهاد التي تنزلت اليها ، والآكام التي تسلقتها ، والمفازات التي تاهت في فيافيها ، والاراضي الوعرة التي خضدت شوكتها، والمياه التي سبحت في لججها، والسحب التي لم تدعها في طمأنينة، فجارتها في متجهاتها .. هذا كفاح مرير ادماها ، ولكنه ملأ قلبها رضا ، وذلك منها سعي حثيث مضن ، ولكنه أنعش في نفسها الامل ، لانها ناطت مركبتها بجوادين لا يكبوان ، احدهما يحمل الايمان على سرجه ، والآخر يفسح للرجاء مكانـاً فوق ظهره ، ولا بد للجوادين من ان يقودا المركبة الى ارض النجاة وإن اجتازا في الطريق مسالك محفوفة بالرعب .

وقد عودتنا الفتاة ، ولا سيما الشرقية ، ان تغلق باب قلبها بمتاريس ومزلاجات ، مخافة ان تتكشف منه أسرارها، وتعرف اغوارها. وعودتنا ان تتحرج عن ذكر الحب ،لا عن استنكار، بل عن استحياء.. فجاءت صفية ابو شادي على غير هذه الشاكلة، تتحدث عن الحب الذي غزا قلبها ، وعن الرفيق الذي آنس وحدتها، وعن الرمح الذي خدش نسيج قلبها الرقيق ،وتحسس جدرانه ، وعن الليل العميق الذي يبعث على الفكـر ، وعن القمر الذي تتسلسل اشعته كخيوط من ذهب ، يوقظ العاطفة

النائمة ، وعن ناقوس المعبد الذي يحيي الامل ، ويعلن انتهاء يوم من ايام الزمهرير .

وفي وحشتها تأنس الى الطبيعة ، ثم لا تلبث ان تخشاها .. تترقب الليل بشوق ، فان جاء تطلعت الى مشرق الشمس في الفجر . تتأمل الاشجار والازهار ، فاذا زهدت في رفقتها خرجت الى شاطىء البحر ، تنشد سلوى ، فان لم تجد سلوى ، عادت الى صومعتها تضيق بها .. هذه الحياة القلقة هي حياة هذا الجيل ، الذي تتنازعه عوامل شتى ، امل يخلب اللب ، ويأس يطيش الصواب ، وغد مرجو ، ولكنه غير مأمون . والشباب في دوامة لا يفيقون منها ، يغالبونها وتغالبهم ، والصراع مرير ، والفوز في علم الغيب . تزرع الخير فتحصد الشر ، تسالم فتعادي ، تدعو للحب فيدعونك الى البغض . حال لا تستقر ، ونواميس غير ذات انتظام ، فاذا انتظمت فما اكثر شواذها .

قلوب تضربها العاطفة ، وقلوب اخرى يحرقها الحقد ، فالحب والحقد عذابان يعرف شواظهما من عركهما .. وحياة موزعة بين لهو وجد ، فلا اللهو يسعد ، ولا الجد سبيل غبطة . والناس لا تقنع بحال ، ولا يقر لها منوال ، وامرها عجب في حالتي الحزن والفرح ، فان حزنت تفطر الدمع من المآقي ، وإن فرحت سالت المدامع من المحاجر ، فكيف بالله تعبر الدموع عن الحزن والفرح إلا ان يكون بين النقيضين من المشابه ما تحار فيه الافهام ؟

واعجبني من خاطرات صفية ابو شادي انها خاطرات ذات هدف ورسالة ، وقد تكون الرسالة صريحة ، لا تحتاج الى مزيد من بيان ، وقد تكون مستسرة مرموزاً لها ، يدركها الذهن الواعي بغير كبير مشقة .. فهي كاتبة هدافة ، لا هدامة ، فان اسلست القياد في بعض خواطرها لليأس ، فسرعان ما تنصر الامل في خواطر اخرى ، ولكنها ، في حالتي اليأس والامل ، صادقة في التعبير عما يجول في نفسها ، من مختلف المشاعر ، ومؤتلف الاحاسيس ، يأنس القارىء صدقها في كل حرف مما جرت به ريشتها الصناع .

وقد تبدو السذاجة على بعض ما تداعى اليه تفكيرها ، ولكنها سذاجة تذكرنا بقول مأثور لتوماس اديسن ، مكتشف الكهرباء ، فقد وصف نفسه بانه طفل يلهو على شاطىء المعرفة ، وفي الحين بعد الحين يصيب درة من در حصباء الشاطىء ، ولكن أنى له ان يصيب الدر جميعاً ؟

وقد وقفت صفية على شاطىء المعرفة ، تلهو على الرمال مع رفيقاتها ، فكلما وقعت على درة رفعتها ، متهللة مستبشرة ، ولكنها تدرك ان جناحيها قصيران ، بيد أنها — في الوقت عينه — تؤمن بأنها ستحلق بعيداً ، حين ينمو ريشها ، وتثق بأن النجمة الخافتة الضوء أهدى للضال من مصباح وهاج منير .

إن في ديوان « صفية ابو شادي » ومضات فلسفية لامعة ، ومعاني خلقية رفيعة ، وآفاقاً فكرية رحيبة ، وخيالاً خصباً ينم عن رجحان عقل ، واستدامة فكر ..

ومما يحمد لها ان النأي عن الوطن والضاد ، لم ينسها اللسان العربي المبين ، ولم يشوه ديباجتها المشرقة الناصعة ...

القاهرة — وديع فلسطين

الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر

للدكتور محمد حسين — ٣٦٨ صفحة — المطبعة النموذجية بالقاهرة

يصدر هذا الكتاب ونحن احوج ما نكون اليه في هذه الفترة التاريخية من حياة المجتمع العربي ، فان انتشار الوعي القومي ويقظة الامة العربية وانتفاضتها وسعيها نحو حياة كريمة حرة يحتاج الى الاضواء الغامرة المسلطة على تاريخنا حتى نبصر مواقع اقدامنا ونعرف الى اين المسير . وليس من شك ان المرحلة القلقة التي مرت بها مصر في الجيل الماضي والصراع القومي الجبار مع القوى الانهزامية التي تعاون الاستعمار قد اخذ من مصر جهداً كبيراً ، ونتيجة لهذا الصراع الشعبي بين القوى المتطاحنة المتباينة التي يهدف كل منها الى غرض خاص ، اصبحت هذه الفترة من تاريخنا فترة بلبلة واضطراب لذلك نرحب ويرحب الادباء الواعون بهذه الدراسة الجامعة التي أنارت لنا السبيل بكشفها تاريخ الجيل الماضي امام ابناء هذا الجيل ومن هنا اخذت هذه الدراسة مكانها بين الدراسات الدافعة الى الامام اولاً لانها تؤرخ للنهضة القومية المصرية مؤيدة بالتاريخ والادب الوطني الذي صاحبها وثانياً لانها صدرت في وقت انتفض فيه الشعب المصري فاطاح بالطغاة والاقطاعيين وسار في خطى حثيثة نحو مستقبل رغد حر كريم خصوصاً بعد هذه الاتفاقية التي كسرت قيود الاستعمار عن مصر .

اقول ان هذا الكتاب صدر في إبانه ليعرف ابناء مصر وهم على عتبة هذه الحياة الحرة الجديدة كيف كانت القوى المتصارعة تتنازع وطنهم وليعرفوا ايضاً الزعماء والشعراء والساسة الذين خدموا مصر وعملوا من أجلها والذين صرفتهم

منافعهم الشخصية او مآربهم الى خدمة الاستعمار والتمكين له في ارض الاجداد .

فقد بين لنا الدكتور محمد حسين (استاذ الادب العربي الحديث بجامعة الاسكندرية) كيف كان شعور المصريين في اواخر القرن الماضي متجهاً نحو الجامعة الاسلامية نتيجة لسيطرة العاطفة الدينية على النفوس فقد كانت الظروف المحيطة بالموقف « توحي بان الخصومة بين الشرق والغرب هي خصومة بين الاسلام والمسيحية او هي استمرار للحرب الصليبية كما تصور بعض زعماء الوطنية وكتابها » واعان على ذلك ما كان يقع بين تركيا والبلاد الاوروبية من منازعات وهجوم بعض الكتاب الغربيين على الدين الاسلامي ومن هنـــا كانت هذه القصائد العديدة التي وجهت الى السلطان عبد الحميد باعتباره خليفة المسلمين .

كان هذا الشعور هو السائد لدى المصريين فان الخروج على الخليفة كان ارتماء في احضان اعداء الاسلام في نظرهم .

وكان بعض المنادين بالجامعة الاسلامية يؤيدون عبد الحميد وسياسته بدافع من العاطفة الدينية وان كانوا لا يؤيدون تحكم السياسة العثمانية في مصر وكان البعض الآخر يتخذ هذا الاتجاه لمناوأة الاستعمار الانجليزي ثم بين لنا المؤلـف كيف نشأت فكرة القومية المصرية تحت تأثير نشأة القوميات في القرن التاسع عشر وكيف ابتدأ هذا الشعور القومي يتنبه حينما تبلورت مطالب الشعب في الثورة العرابية .

وكان اصحاب الدعوة القومية المصرية لا يدعون الى الانفصال عن تركيا وان قاوموا النفـــوذ الجركسي ولكن جماعة من المثقفين المستنيرين بالثقافة الغربية هاجموا الرابطة الدينية مبينين ان هذا الاتجاه سيخلق العصبيات الدينية والانقسام الداخلي وكانت الدعوة الى الجامعة الاسلامية اعلق بالقلوب واقرب الى افهام الناس .اما القائمون ضد الرابطة الدينية فكانوا طائفة كبار الملاك الذين آثروا طريق السلامة وتجنب المتاعب فلم يناوئوا الاستعمار وان دعوا الى الاصلاح الداخلي .

وفي عام ١٩١٠ قوبلت الدعوة الى الجامعة المصرية بصدمة عنيفة حينما عقد الاقباط في اسيوط مؤتمراً لهم وكانت الازمة ترجع الى سوء الظن بين عنصري الوطن ولكن سرعان ما تدارك العقلاء هذه الانقسامات فتصافت النفوس بعد المؤتمر المصري عام ١٩١١ .

وتكلم الدكتور المؤلف عن موقف عباس حين احتضن كفاح الانجليز والمكافحين ضدهم وبين لنا كيف ابتدأ عباس ينهزم امام ممثل الاستعمار وكيف انه كان كالكرة تنجذب الى الخليفة العثماني مرة والى ممثل الاستعمار في مصر مرة اخرى كما بين اثر هذه الذبذبة بين هاتين القوتين المتصارعتين في ادب هذه الفترة من تاريخنا .

اما المصريون فكانوا موزعين بين النفوذ الانجليزي والنفوذ العثماني والنفوذ الفرنسي ممثلين في اصحاب الجرائد وكبـــار الكتاب المصلحين والسياسيين .

وتكلم الدكتور المؤلف بعد ذلك عن تأسيس الاحزاب: الحزب الوطني ومن ورائه جموع الشباب المثقف وحزب الامة ومن ورائه كبار الملاك وحزب الاصلاح وهو حزب قليل الانصار والخطر يدعو الى عباس والحزب الوطني الحر وكان يمثل طائفة الخونة الذين ايدوا الاستعمار . وفي الفصل الاخير تكلم عن النزعات الاصلاحية التي قامت طائفة من الكتاب المستنيرين تدعو اليها كالنهوض بالمرأة ومنحها حريتها وصاحب هذه الدعوة قاسم امين زعيم هذه الحركة الاصلاحية ، ومحاربـة البدع والخرافات التي علقت بالدين كما فعل الشيخ محمد عبده .

يتناول المؤلف كل هذه الاتجاهات بالتفصيل الدقيق والعرض المنهجي مبيناً اثر هذه الاتجاهات في الادب شعراً ونثراً .

ويخرج ابن هذا الجيل بعد قراءته هذا الكتاب الشامخ بفكرة واضحة عن تاريخ هذه الحقبة عارفاً التيارات السياسية والاجتماعية التي تنازعت ادب الجيل الماضي فلا يسرف كما اسرف غيره حينما لاموا شوقي على ميوله العثمانية وتشيعه للعثمانيين لان هذا التشيع كان شعور المصريين جميعاً في وقت ما ..

ولا يضع شاعراً كأحمد نسيم في مصاف الشعراء المحترمين لخيانته وطنه بارتمائه في احضان الاستعماريين الانجليز . . ويعرف اقدار الرجال المكافحين الذين شاركوا في بناء هـــذا الوطن ورقيه كأحمد محرم واحمد الكاشف وعلي الغـاياتي من الشعراء وعبدالله النديم ومصطفى كامل ومحمد عبده وقاسم امـين من زعماء الادب والاجتماع والاصلاح والسياسة .

وليس من شك في ان هذا الكتاب الذي اصدره استاذنا الكبير الدكتور محمد حسين فتح جديد في الدراسات التاريخية الادبية فهو بالاضافة الى موضوعه الحيوي الخطير يجمـــع الى سلامة المنهج العلمي دقة البحث وعمق النظرة وحلاوة الاسلوب .

القاهرة

كمال نشأت

من رابطة النهر الخالد



ظهر حديثاً

● وطنية خالدة وازاهير الصحراء . لروكس بن زائد العُزَيزي – ١١٢ صفحة – حجم صغير – طبعت بنفقة صاحب مجلة العرفان – مطبعة العرفان – صيدا لبنان .

● الشارع الطويل – قصص – لمحمد ابراهيم دكروب – ١١٢ صفحة – منشورات دار القلم – مطبعة النجاح بيروت .

● الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين – جمع مجيد خدوري – ٢٠٣ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر – مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

● بابلون – اوبريت – لصفاء الحيدري – ٧٢ صفحة – منشورات الرسالة الجديدة – مطبعة دار المعارف بغداد .

● صراع مع الغرب في حضارته وتياراته الفكرية – لسعد صائب من رابطة الادب الجديد – ١٦٣ صفحة – منشورات مكتبة محمد حسين النوري بدمشق – المطبعة العمومية بدمشق .

● المذاهب الاقتصادية الكبرى – تأليف جورج سول – ترجمة الدكتور راشد البراوي الاستاذ بجامعة القاهرة سابقاً ومدير البنك الصناعي – ٢٢٨ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر – مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

● الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية – وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم بحوادث لبنان واحواله يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ويساهم بها واحد منهم لاول مرة في تأريخ لبنان – الراوي : حسين غضبان ابو شقرا – المؤلف يوسف خطار ابو شقرا – تحرى نصها وعلق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها عارف ابو شقرا – ٢٤٤ صفحة – حجم كبير – مطبعة الاتحاد بيروت .

● تطور الفكر السياسي – تأليف جورج سباين – ترجمة حسن جلال العروسي المحامي – مع تصدير للدكتور عبد الرزاق احمد السنهوري رئيس مجلس الدولة ومراجعة وتقديم الدكتور عثمان خليل عثمان عميد كلية الحقوق بجامعة ابراهيم – ١٧٨ صفحة حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر – دار المعارف بمصر .

● الحب العذري لموسى سليمان – الطبعة الثانية – ١٢٨ صفحة – منشورات دار الثقافة ببيروت . فهرست الموضوعات : دنيا الاساطير – لمحة تاريخية في العشق عند الامم القديمة ، عصارة السحر – العشق عند العرب ، سراب الصحراء – الحب العذري – عالم الآلهة ، الحب الافلاطوني ، المجانين العباقرة ، الشعراء العذريون ، المآخذ حسب ترتيبها التاريخي .

● قصة حيّ بن يقظان لابن طفيل الاندلسي – مع دراسة وتحليل بقلم عبد الهادي حكيم – ٨٠ صفحة – منشورات دار الفارابي بيروت مطبعة النجاح بيروت .

● لمع – لهند سلامة – ٨٠ صفحة تقريباً – حجم صغير – منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت – المطبعة العصرية صيدا .

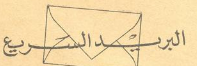
● تلفونك وكيف يؤدي عمله – تأليف هرمان ونينا شنايدر – وضع الرسوم جين بنديك – ترجمة عبد الفتاح المنياوي – ١١٨ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر – دار المعارف بمصر .

● دفتر الغزل – معها « الخصوصيات » و« الاخوانيات » – لأمين نخلة – ١٣٦ صفحة – منشورات المكتبة العصرية بيروت – المطبعة العصرية صيدا .

● ناجي الشاعر – لنعمات احمد فؤاد – ١٤٤ صفحة – رابطة الادب الحديث بالقاهرة – الناشر مكتبة الخانجي بمصر – مطبعة دار الهنا بمصر .

● ضحكات القدر من فاروق الى الثورة – لحبيب الزحلاوي – ١٨٤ صفحة – مطبعة دار الهنا بمصر .

● علم النفس التربوي – تأليف ارثر جيتس وارثر جيرسلد وت . مانوكل وروبرت تشالمان – ترجمة ابراهيم حافظ ومحمد عبد الحميد ابو العزم والسيد محمد عثمان – تقديم واشراف الدكتور عبد العزيز القوصي – ٣٠١ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر – مكتبة النهضة المصرية بمصر .



• الى السيد سليم داهش ـ دمشق

ارسل لنا لائحة بالاعداد الناقصة فقد نستطيع تأمين الاعداد المطلوبة ، ثمن النسخة ليرة واحدة للأعداد الموجودة اما الاعداد النادرة اي التي نفدت ثم اشتريناها من القراء فثمنها يتراوح بين ليرتين وخمس ليرات ، اما ارسال القيمة من دمشق فيكون بواسطة البريد .

• من الاستاذ كمال نشأت ـ القاهرة

ارجو اذا تكرمتم الاشارة في باب «البريد السريع» الى ان المراسلات التي توجه الى «رابطة النهر الخالد» ترسل باسمي على هذا العنوان:
مصر ـ القاهرة ـ روض الفرج ـ ١٦ شارع حسن سامي ـ كمال نشأت
وذلك حتى لا ترسل بعض الخطابات او المطبوعات الى عنوان جريدة العالم العربي التي انقطعت صلتنا بها منذ مدة .

• الى عبد القادر محمود عوض راشد ـ عدن

قيمة الاشتراك تدفع سلفاً ويستحسن ان تتصل بصديقك الاستاذ عائض سالمين باسنيد فيطلعك على شروط الاشتراك وطريقة ارسال القيمة .

• الى الاستاذ « ابو السعود » ـ حلب

لا بأس من ارسال القصة المذكورة ، نلفت حسن انتباهك الى قضية «الخط» فنرجو الاعتناء به وان تكتب القصة بالحبر وليس بالقلم الازرق.

• من الاستاذ يوسف عبد المسيح ثروة ـ العراق بعقوبة

وقعت بعض الاغلاط المطبعية في مقالي « برنارد شو » المنشور في عدد سبتمبر من الاديب الاغر ولما كانت هذه الاغلاط مما يخل بالمعنى ، جئتك راجياً تداركها ولفت النظر اليها وهي : ص ٣٤ [فتراني] والصواب [غير اني]. صفحة ٣٥ [وهي] وهذه الكلمة حشو زائد . صفحة ٣٧ [مختصة] والصواب [مخلصة] . ص ٣٨ [المتشوقين] والصواب [المتشوفون] ولم اكن لافعل هذا لولا ثقتي بك في اخلاصك للادب واعتدادك به .

• الى « ابن يعفر » ـ القاهرة

قصيدة جميلة وتصلح للنشر ولكن السبب الذي جعلك تتستر وراء اسم مستعار عند نشرها هو نفسه الذي يحول بيننا وبين نشرها . وقد سبق ان اشرنا في هذا الباب الى القيود المفروضة علينا في اكثر البلاد العربية ان لم يكن فيها كلها . لذلك نرجو دائماً مراعاة هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها حتى لا تتعرض الاديب للمصادرة والمنع فهي تعتمد على تضحيات صاحبها المادية وحده وليس في وسعه ان يبذل اكثر من هذا .

• من الشاعر الاستاذ عدنان مردم بك ـ دمشق

اخي الشاعر المبدع الاستاذ البير اديب
انهيت منذ يومين للمرة الثانية قراءة مجموعتك الشعرية [لمن ؟] التي هي باقة من الاحاسيس النبيلة ودفقات من الشعور العميقة .
ولشد ما اعجبني بها عمق الفكرة مع بساطة الاسلوب وحسن اختيار الالفاظ مع ايجاز محكم .
واني اهنئك من صميم فؤادي راجياً ان تتبع هذه المجموعة باخوات لها.

• الى الاستاذ م. ا. ـ نابلس ص. ب ١٠

مقالك « اتجاه جديد في الادب الحديث » لن ينشر فهو نفس المقال الذي نشره الاستاذ يوسف عبد المسيح ثروة في عدد اكتوبر الماضي تحت عنوان « بين المأساة والاصالة » مترجماً عن الدوس هكسلي. نرجو الاشارة دائماً في مقالاتك المترجمة الى مصدرها ولك الشكر .

• الى « العربي المتستر » ـ العراق

نرجو من جميع الذين يوقعون باسماء مستعارة ان يذكروا لنا اسمهم الحقيقي مع عنوانهم وكل ما يردنا ولا يتوفر فيه هذا الشرط يهمل .

• الى الاستاذين سبوعي مصطفى وبالي الصادق ـ الجزائر سوق الجنوب الصحراوي

اشكر لكم بطاقتكم الجميلة وتحيتكم الحارة ومودتكم الصادقة ونرجو ان نبقى دائماً عند حسن ظنكم بنا .

• من الاستاذ احمد مكي ـ جامعة السوربون باريس

• الى الاستاذ رشاد دارغوث ـ بيروت

لقد رافقت « فرسانك الاربعة » في رحلتهم المجيدة الى تونس .. فكنت رفيقاً لك في افكارك الجريئة ورفيقاً لهم في اسفارهم الخطرة ، فأنست برفقتك وحمدت رفقتهم .
وطريف حقاً ان تأتي قراءتي لكتاب « الفرسان الاربعة » متساوقة مع افكار تراودني منذ تغربت عن وطني ولمست لمس اليد مقدار ما للتاريخ هنا من اثر في اصلاح الحاضر وخلق المستقبل . ولقد زادت فكرة احياء التراث القديم قوة عندي ولا تزال على ازدياد ، كلما لمست اثراً من آثار المستشرقين في سعيهم الحثيث وراء المجهول ليصبح معلوماً . ذلك السعي الذي لا يعرف غير السخاء والنصح .
لذلك باركت عملك المجيد في اظهار تغريبة بني هلال في قالب عصري .. وسررت غاية السرور ان نلتقي وعلى البعد ايضاً ، دائماً في الغايات واحياناً في الوسائل .

• من الاستاذ اسماعيل عامود ـ سوريا ، السلمية

رسالة طويلة الى الاستاذ عيسى الناعوري حول مقالة « ازمة الثقافة في العالم العربي » المنشورة في عدد سبتمبر الماضي يبدي فيها وجهة نظره حول هذا الموضوع وقد جاء مؤيداً لما كتبه الاستاذ الناعوري .

• السيد مجاهد عبد المنعم مجاهد ـ جامعة القاهرة .

لا نستطيع ان نحكم على موضوعات لم نطلع عليها وان كنا نميل مبدئياً الى المختصر منها كما ذكرتم . العناوين المطلوبة سبق ان نشرت في اعداد الاديب السابقة في البريد السريع وبوسعكم الرجوع الى مجموعة الاديب في مكتبة كلية الاداب عندكم . اما عنوان الاستاذ نجيب محفوظ المقيم في القاهرة فاسألوا عنه في الجامعة فلا بد من وجود من يعرفه .

جولة الأديب في شهر

بشر فارس يعرف معجم العلايلي الى الغرب

بقلم الدكتور بشر فارس

°°°

ننشر فيما يلي المقال الذي كتبه الدكتور بشر فارس باللغة الفرنسية عن معجم العلامة الشيخ عبدالله العلايلي ونقله الى العربية الدكتور علي سعد :

خلف لنا القدامى ، تآليف شتى قيدوا فيها الالفاظ على اصنافها ، وقد هذب جماعة من اهل اللغة المحدثين اغزرها . فقدموا الينا ، موسوعات اقل اختلاطاً واحسن ترتيباً ومع هـــذا لا نزال نشكو بمرارة ، من نقص معجم مؤلف بحسب ذوق اليوم .

ان الميراث ، اصبح في بعض المواضع لا يصلح لعهدنا من جهة : كلمات وتراكيب لزمن مضى ولاحساس ولى ، الفاظ لها مدات كثيراً ما تكون ملتبسة او متنافرة .

ان المنقول الينا من متن اللغة واسع حقاً ، غير انه على تباين انه لمثمر ايضاً على انه قد بعد افقه ، حتى ان احداً لا يستطيع ان يتصرف ببراعة ودقة في آن واحد ، سوى كاتب ملهم ، اعني شاعراً يستطيع ببصارته التعبيرية ، ان يبعث فجأة عالماً غبر ، بفضل لمسات كلها طراءة لا يبلغ اليها التقليد .

يضاف الى هذا ، ان آراء المجتمع الحديث وكذلك معارفه الوضعية تتبدل وتتكثر بلا انقطاع ، في حين ان ملاك اللغة لا يتجسم الا شيئاً ما وبغير شدة ولا رسوخ . فهـــذه المسارد الموضوعة في السنوات الثلاثين الماضية رغبة في سد حاجات العلم الحديث لا تسد كل المسد .

اما مجامعنا ، فوا اسفاه ناعسة ، واذا هي عرضت ، بين تثاؤبين ضخمين على جمهور قل ميله اليها واقتناعه ، بها اصطلاحات فما تكون هذه في الغالب ولا سيما في مصر الا مقلقلة مجافية .

ان على فئة من الادباء واللغويين ، يقع واجب المسعى مع ما فيه من مشقة وما وراءه من ضعف الجزاء : وسر المسعى ، هو ان يواجهوا النشوز الذي يشتد يوماً بعد يوم بين اللغـــة والحضارة . وقد انصرفنا من زمن قريب الى هذه المواجهة ، لذلك يحسن بالجمهور ان يتلقى ، ملهوفاً ، هذا المعجم الموسوعي المؤلف على خطة بكر .

ان صاحب هذا المعجم لبناني قد سبق له ان وضع « مقدمة لدرس لغة العرب » سنة ١٩٣٨ ، ورائده ذهن يمتاز بالتحرر . في ذلك العهد تمرد الشيخ عبدالله العلايلي ، وهو فتى ، على هيكل قواعد ثابتة كل الثبوت ، من حيث انها سليلة نظام يغلب عليه ما هو اشبه بالافتعال . وفي تمرده هذا ، ما خشي ان يصدم تفكيراً مألوفاً بازاء الاجرومية العربية ، وهي لم تتبدل على كر السنين حتى انها تسلطت على منهج التعليم . فالمبادىء في هذا النظام ، ما هي سوى اراء خاصة تتنازع فئات من النحويين .

من هنا يبدو ان الطريقة اللازمة لعلم اللغة ، يجب ان تتجدد لتلائم الادراك الحديث لاداة معقدة على نحو ما تكون اللغة العربية . لا بد من تحطيم الاطار الذي ولده التحكم ، ومن ترك دفق الحياة الجياشة يغمر حصناً حرسوه بضراوة . فالغلبة هنا للسبب الغائي لا السبب الشكلي ، وذلك ان اللغـة في منتهى مطافها تصير الى ان تكون آلة محكمة للتعبير لا للمماحكة . وعلى هذا ان المرجع القاطع انما قيمته بمقدار ما يرد الامور الى نصاب الحقيقة . اذا اندس فيه خطأ وقع تحت نقد ، فليس من التجاوز اذن ان نهز اركانه .

وتواطؤ الاراء ها هنا لا يضفي على المحفوظ قدراً قائماً بذاته اذ ان الصواب قد يكون من حظ ذهن فرد . وفي الجملة قد آن لنا ان نفجر من مجرى مسدود بعضه ، نبعاً هيهات ان ينضب .

تلك جملة من النظرات كانت تنبىء بمحاولة لغوية لها فضل خاص . هذا المعجم قد انفصل بنمطه عن المتواضع عليـــه ، طموحاً الى حمل اللغة ، بما هي كيان حيوي ، على ان تثمر التراث الذي تضمه في ديوانها . وهذا الايغال لا يقف عند صعيد التعبير الادبي ، بل يمتد الى ميدان الاصطلاحات وقد اصبح بلا حدود ، ذلك عمل فذ لا يقتحمه عادة الا عصبة من الادباء والمتبحرين . ونرى العلايلي ذا همة تثير الدهشة . هو يذهب من الوحدة الجوهرية للكلمة اعني من المدلول التام الحقيقي الاولي المغني بممكنات لا تخطر على بال . هذا المدلول يقع في مستهل كل فصل من جانب الجذر ومن جانب التسلسل ، ثم يعمد المؤلف الى صيغ الصرف فيديرها بحذق لاجل توليد مركب

من المشتقات يستلها من عناصر البناء اللغوي ، فتأتي مرتبة على نحو عقلي ، فيلحظ اللاحظ عندئذ باية مراتب واية لفتات يمر الفكر منتقلاً من معنى الى معنى ، والى جنب هذا المسلك بما يتضمن من تعانق بين التشبيه والمجاز ، يقوم مسلك التعريب وفقاً لقوانين النطق العربي .

وان اتفق للعلايلي ، هــذا الذي لا يعرف الكلال ولا التقلقل ، ان يحاذي الشطط ، فذلك لان التطوح لدى مجدد تلك صفته ، يدخل حيز الاعتدال . وقد يصدمك لفرط ما يتحرك في اقصى مدارج فن رهيف : جمع منسق ، الى ارتجال من باب الحدس ، وهكذا نجد بين ايدينا من جهة كنزاً راهناً هو متن الفاظ وثقها الادب وعززها الاستعمال ، ثم جلاها التواتر والمعت اليها التزهية (الميثولوجيا) ، كل ذلك والالفاظ مسلسلة حسب استنباطات دقيقة ، ومن جهة اخرى نجد طائفة من المــولد مستندة الى ذلك الكنز الراهن ، ويأتي الموعد من قبل المؤلف او من سبقه في وفرة زائدة احياناً و كثيراً ما يبلغ التوفيق . وفي كلتا الجهتين لا يحجم الباحث في اندفاعه عن الجرأة كائنة ما كانت . وعند التقدير الاخير لجملة ما تقدم ، يكتسب الاداء بازاء هذا الاقدام دقة ويتسع ، والاتساع هذه المرة مجد .

وهذا ما يضع سر لغتنا في موضعه الحق اذ يرده الى الجو الاول حيث تنفس فيه حراً خارج بناء منظم على وهم .

وما ابعد اليوم الذي تفقد اللغة العربية فيه ثقتها بنفسها ! فان طاقتها النفسانية تمدها وسائل غاية في العجب مما لم يكف عن سوق الفكر المستعد للنضج الى عتبة الرهافة الذهنية .

القاهرة — بشر فارس

الفن والوجود والموجود شيء واحد

بقلم عبدالله العلايلي

✻

باسم القلم الذي نتنادى اليوم* الى محرابه ، افتتح القول . فالقلم مذ كان – تبارك اسمه – شرع للتاريخ ابوابه واملى الحضارة حرفاً فحرفاً ، ولولاه للبثت الحضارة خاطرة هائمة او خالجة غائمة ، ثم ما كان يقدر لها ابداً ان ترى نفسها في المرآة .

فالقلم كصنوه الازميل ، كلاهما يمشي مشيته الخالقة ، هذا على الطرس لينطق ، وهذا على الحجر لتشيع فيه نابضة الحياة ثم يؤولان الى انها من التاريخ وجه ولسان ، مشاهدوحكاية .

على انه نفسه الذي يقرع على المستقبل رتاجه ، ويزحزح عنه شيئاً ، فاذا المستقبل في خاطرة ماثل مثول الداني القريب .. انه عند ملامس اليد ، لان القلم جسد ضلوعه عند ملامس الوعي وما كان لليد القادرة ، ان تنفك عن بادرة الوعي المقدرة ، الا عند اسطوريين بلهاء .

ان القلم الذي نجتمع اليوم على تقديس اسمـه ، هو الذي يعطيك منك ، من واقعك ، لا الذي يخترعك . اما الذين يقولون غير هذا القول ، افتظنني مخطئاً ؟ اذا انا لم ار فرقاً بينهم وبين « دون كيشوت » . فصاحبنا خال في اجنحة المطاحن الهوائية فرساناً ، وخال نفسه غلابا لها ، وهؤلاء إذ يزوروننا ، يخالون انهم اخترعوا ، ويخالون انهم اقلام .

وقد قلت منذ حين قريب : اننا حين نقول القارىء لا نعني متلقياً نصيبه في الاخذ دون نصيبه في العطاء .. فالقارىء بما انتهى اليه تطوره ، وبما انفتح عليه من حاجات ، هو الذي يملي فيريك وجهة المسير ، ويضع خطة الطريق .

ومن ذا يقول : ان «بؤرة العدسة» هي التي تخترع الصورة فكبير امرها – كما تعلم – انها تلملم الظلال لتعقدها في حزمة ، ثم لتعطيها اعطاء الصنع ، لا اعطاء البدع .. وايضــاً من ذا يقول : ان الثمرة هي اقتطاع من فردية الشجرة ، وواقعها انها شيء كوني من عواصف ورعود وامطار ، على شيء مثله من اشعة وحرارات ، تفتح لها الشجرة في مجال ذاتها ، في مجال اعتمالها الحي ، لتفرغها خلقاً آخر ، لتفرغها افراغ التأليف ، لا افراغ الانشاء . ثم ادنو اكثر فاكثر لاقول : ان اوائلنا كانوا اصح ادراكاً ، فقد سموا ما كان يخترع لهم اختراعاً اسطورة ، اما ما وجدوا فيه انفسهم ، ما وجدوا فيه دنياهم ، ما وجدوا فيه واقعهم الذي يتحرك ، فانه وحده الذي سموه ادباً . فهل نكون ملومين اذا قلنا لهؤلاء الذين يفترضوننا باسم الفن ويموهوننا انكم اسطوريون دون ان نقول لهم انكم اغبيــاء ، وان كانوا في محل استحقاقه .

ثم ما الفن ؟ انه الحياة بكل ما فيها من دفق وسكب ومد ، وما جماليته الا ادراكها المنعطف بفعل ينعش الحياة في صورها الثلاث : العاطفة والعقل والارادة ، وما لذة الجمال الا الشعور بهذا الانتعاش العام ... فالانفعال الفني هو الذي يملك

* القيت في مؤتمر الكتاب العرب الذي انعقد في دمشق .

علينا كياننا كله ، حتى لتشتد خفقات القلب ويسرع جريان الدم ، فاذا الحياة تزداد قوة وتشتد . اما النظرة التي ترد الفن الى ذاته فنظرية لاعبة ، فالفن جد الى ابعد الجد ، ان الاديب لا يلهو كما تفعل آلهة « الاولمب » ، بل يعيش على ارض الناس وانفعالاته اعمق وارحب ، هذا هو السبب في سعادته وشقائه معاً .

نعم هذه النظرية التي تستبعد كل ما هو ضروري للحياة وكل ما هو مفيد لها ، وكل ما هو موضوع حقيقي من موضوعات الرغبة ، خادعة مموهة ، فان اول مظهر من مظاهر الشعور الجمالي ، ارواء الحس الظامىء واستعادة الحياة توازنها واستئناف الانسجام بين ما هو مادي وما هو معنوي . اما لعب الخيال للخيال نفسه اي تتابع صور لا يمكن ان تنقلب الى احساسات مؤلمة او لذيذة ، ولا الى افكار وعواطف ، فهو الشيء السطحي الملوم والملول في الفن . ان الفن العظيم هو الذي يجمع بين اللذة والجمال والفائدة ، وبذلك يغدو اشبه بتلك الآلات الرنانة التي لا تكاد تلمسها حتى تطلق الصوت الموسيقي . ان لكل شيء رجعاً عميقاً في انفسنا ، فالفن والوجود والموجود شيء واحد ، وهنا نحس بالاتساع الى ادراك انسجام الحياة باستمرار ، وتنطبع كل فرحة من فرحاتنا بهذا الطابع الاقدس ، طابع الجمال . فالفن ، اذن ، اجتماعي في جوهره وروحه ، وغايته ان يسمو بالفرد على ذاته بتوحيده في الجميع . ان كل انفعال جمالي نتيجته توسيع الحياة الفردية بنهوضها الى افق الحياة الشاملة ، والفن انما يستمد قيمته من شدة الاواصر بين الكون والكائن ، بين الفرد والكل ، بين كل جزء من اللحظة والديمومة . والفنان حين يأخذه مخاض التعبير عما يسمى بالرؤية الداخلية ، انما يفعل تحت الرغبة في ان يكون الرائي اكثر من واحد بان يكون الرأي الكل .

يوم القلم هذا حدث فريد في دنيانا العربية ، وان اردت الدقة اقول : في دنيانا العربية الحديثة ، فقد كان للقلم ومابيث من املاء اسواق يحشد لها ، « فعكاظ » يوم من ايام ما يجري به القلم وينهض به الحرف ، ولقد عادت تلك الايام على الجملة بالصقل وكان خيراً كثيراً ، وعلى المضمون بالحقيقة وكان خيراً اكثر .

واحياء السنة بيوم للقلم ، ولا سيما في ظرف العرب الراهن الذي تأثر فيه الطواغيت بالقلم الحر اول ما تأثر ، لعله اضخم حدث في الطريق الى النصر ، لانه ارفع منبر لفضح القلم الاجير .

اذكر اننا حفظنا يوم كنا نحفظ الابجدية ان الاديب هو ذلك الوعاء للهب الاقدس ، وحفظنا ايضاً انه لهب لا يتنزل الا في نفوس برة ترهبت للخير وتبتلت للحق والجمال ، وانتزعت المحاريب والهياكل من معنى حجارتهـا ، لتسكبها محاريب وهياكل من معناها ، من معنى حقيقتها . فلم تعد وكل امرهـا حجارة تتفتت وتتأكل ، في غفوات وصحوات من الانسان والزمان ، بل حجارة هي وحدات من خلود هذا الانسان المصفى لا انسان الاباطيل – اللوح القمىء – الذي تعرفون ابناءه في هيادب القمم وعلى مسارب الدروب .

اقول وليتني استطيع على القول ، الوفاء بكل هذا الحس الضارب في مذهب نفسي ، حيال ما يخطر به القلم الصدق ، فانه لا يخط ولكنه ذوب روح يرفض كالظل على الاطلال .

وربك – جلت حكمته – اراده لخير هذا المجتمع «الطلل» الذي تنعب في صحرائه شوهات ليتها الاغربة ، ليتها البوم .. اذن لرأينا على سيماء نعيبها ما يسمونه « جمال فن القبح » ، ولكن الرزيئة في شوهاتنا انه اسقطها من حسابه حتى « فن القبح » فجاء قبحاً لا فن فيه ، اي الماً متصـلاً لا الى موت ، ويأساً متورماً لا تعلة في حواشيه ، ورذيلة مفعمة بالسواد لا الى هداية ولا الى امل في انها تعقل .

نعم ان ربك اراده لخيرنا ، اراد من حبات الظل المنسكب لتكون معنى الحياة في الاطلال ، فكثيراً ما دارت حبة الطل على نفسها فانعقدت في سيل ، وكثيراً ما دار السيل على نفسه فانعقد في التيار .. فاقلام الصدق لا تطبع لتنشر ، بل تمدد روحها على الطابع ، لتجيء فضيلة وطنية حية تطعن رذيلة حية وصدقاً يتمادى يضرب وجه كذب يتمادى .

انا اعرف ان اناساً سوف يطمئنون الى يوم القلم العربي هذا وهم الطيبون الشرفاء . كما اعرف ان اناساً سوف يزورون عنه ازوراراً غير محدود ، وهم اولئك الذين يخنقون كل صوت بسبيل التحرر من اسر الاوضاع التي ابتدعوها مع العصور ، لتكون في ايديهم قيود الشعب ، فلا ينطلق الا اذا شاءوا له الانطلاق . ولكن الشعب والمجتمع اكبر منهم ومن اوضاعهم ، وارفع محلة واقدس مقاماً ومكانة .

سوف يذعرون وتعروهم غاشية ، وما يذعرون للاوضاع ولكن لانانياتهم الجشعة ، فهم يحمون هذا الباطل لانه يحميهم لانه يحمي باطلهم .

عبد الله العلايلي

ذكريات طه حسين

بقلم كامل الشناوي

زرت الدكتور طه حسين في داره بالزمالك، غداة عودته من اوروبا. كان قابعاً في غرفة مكتبه. حوله زواره: اصدقاء، واقارب، وتلاميذ، وسكرتيره الخاص، وآلة التليفون. ومئات من الكتب غطت جدران الغرفة، وتراكمت فوق المكتب، وجلست على الكراسي كما لو كانت هي الاخرى بعض الزوار!

كان الدكتور طه يتكلم عن الفقر عدو البشرية. عدوها القاسي الذي لا يرحم. سجنها وسجانها. قيدها وجلادها. فالفقر يحول بينها وبين العلم، والفن، والعمل. الفقر يشل المواهب، ويقيد الخطى، ويثير الخوف والقلق، ويغري بالتمرد على القيم والمعاني والفضائل.

قال الدكتور طه:

– لقد ذقت مرارة الفقر. وعانيت قسوته وشدته، ولهذا اشعر بالعطف والحب والرحمة، على كل فقير.

لقد كاد الفقر يحول بيني وبين ان اكون شيئاً..: كنت طالباً في الازهر الشريف. وكان أخي الاكبر الشيخ احمد حسين ولي امري. ولما انشئت الجامعة المصرية القديمة تملكتني رغبة شديدة في الالتحاق بها. ومنيت النفس ان اكون يوماً من الايام احد خريجيها. وصارحت اخي بهذه الرغبة، فنهاني عنها، وزجرني بعنف وشدة، وقال لي: لقد جئت القاهرة لتطلب العلم، وهذه الجامعة لا تزال تتعثر في خطاها ولا أحد يدري ماذا سيكون امرها. والشيء الذي لا شك فيه انها ستصرفك عن الازهر وأكدت لاخي ان التحاقي بالجامعة لن يصرفني عن طلب العلم في الازهر الشريف. فتركني غاضباً وقال: افعل ما تشاء!

ولما ذهبت الى الجامعة وجدت ان الالتحاق بها يقتضي دفع رسم قدره جنيه واحد وطلبت الى أخي ان يعطيني قيمة الرسم فقال ساخراً: هل تريد مني ان ادفع لك ثمن انصرافك عن العلم! هذا مستحيل!

وقد أزعجني هذا الموقف من* أخي الاكبر، وتولاني يأس شديد وعندما اجتمعت بزملائي المجاورين لاحظوا ما انا فيه من هم وكآبة. فسألوني عما بي. فلم اقل الحقيقة. وزعمت اني مريض وانصرفت الى البيت. وصحبني احد الزملاء، وسألني في الطريق عما اشكو منه. فرويت له مأساتي، فضحك وقال: كيف تحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسك، هكذا من أجل جنيه؟

قلت: لاني لا أملك هذا الجنيه وليس لي ادنى أمل في الحصول عليه!

قال: سأقرضك الجنيه، ولا ترده لي الا اذا تيسرت احوالك. بعد سنة. بعد سنتين. بعد عشر سنوات! واعطاني الجنيه، وفي اليوم التالي ذهبت معه الى الجامعة. ودفعت الرسم.

وأصبحت طالباً جامعياً وعن طريق الجامعة القديمة سافرت الى اوروبا، وأتممت تعليمي في السوربون... وكلكم تعرفون بقية القصة!

ولولا هذا الجنيه لما فارقت صحن الازهر الشريف! وضحك طه حسين وقال: لعلكم تدهشون اذا علمتم اني لم أرد الجنيه لزميلي حتى الآن.. وهذا الزميل هو الاستاذ احمد حسن الزيات!

وقال الدكتور طه: من الغريب ان الذين تعلموا بالمجان على حساب الدولة حاربوا مجانية التعليم. وكانوا قساة على الطلبة العاجزين عن دفع المصروفات!

وذكر احد الحاضرين: ان أحد وزراء المعارف ممن حاربوا مجانية التعليم حرباً لا هوادة فيها، قد تعلم على حساب الدولة، وروى قصة تعليمه بالمجان، قال:

حدث في سنة ١٩٠٨ ان قام سعد زغلول وكان وزيراً للمعارف برحلة تفتيشية على المدارس الابتدائية. واراد ان يختبر ذكاء التلاميذ فألقى عليهم هذا السؤال:

يوجد على شجرة عشرة عصافير. اطلق عليها صياد عياراً نارياً فاصاب واحداً منها. كم عصفوراً بقى فوق الشجرة؟

فقال التلاميذ جميعاً يبقى تسعة عصافير.. وقال احدهم لا يبقى عصفوراً واحداً، وسأله سعد لماذا؟

قال: لان العصافير عندما تسمع الطلق الناري ستطير من فوق الشجرة.

فامر سعد بان يتعلم هذا التلميذ على حساب الدولة الى ان يتم تعليمه العالي.. وقد كان! ثم اصبح التلميذ وزيراً للمعارف وشنها حرباً شعواء على المجانية!

وقلت: لو ان هذا السؤال القي اليوم على تلاميذ مصر في المدارس الاولية والابتدائية لاجابوا كما اجاب ذلك الوزير.

وهذا يكون من حقهم ان يتعلموا مثله جميعاً على حساب الدولة!

وقال الدكتور طه : هل تعرفون كيف استقلت من الجامعة عام ١٩٤٢ ، وكيف تم تعييني مستشاراً فنياً لوزارة المعارف ؟ ان احد اساتذة الجامعة هو الذي اخرجني من الجامعة !

واطلق طه حسين العنان لضحكته الساخرة ثم توقف عن الضحك . وتجهم وجهه ، ولصق احدى راحتيه بالاخرى ، واخذ يسرد هذه القصة :

كان المرحوم الدكتور احمد امين عميداً لكلية الآداب في جامعة القاهرة . وكان الاستاذ احمد نجيب الهلالي وزيراً للمعارف وكنت ازوره في مكتبه . ودار الحديث على مجانية التعليم . وقال الهلالي انه يتمنى ان يجيء اليوم الذي يستطيع فيه كل فرد ان يتعلم بالمجان . وشكا لي من ان المسؤولين في كلية الآداب يتصرفون مع الطلبة العاجزين عن دفع المصروفات تصرفاً تعوزه الرحمة والعدالة . وسأل : أليس لهؤلاء ابناء ؟ كيف يحرمون من دخول الامتحان كل طالب عجز عن دفع المصروفات؟ لقد جاءني اليوم رجل اعرفه . وقال لي انه لا يملك مصروفات ابنه وطلب مني ان اضمنه لدى كلية الآداب الى ان يحصل على المصروفات فما رأيك ؟

وقلت للهلالي اتصل بالدكتور احمد امين . واعتقد انه سييسر لهذا الطالب وامثاله دخول الامتحان . ورويت له اني عندما كنت عميداً لكلية الآداب تساهلت كثيراً في تطبيق هذه القاعدة ، وسمحت للطلاب العاجزين عن دفع المصروفات ان يدخلوا الامتحان .

واتصل الهلالي تليفونياً باحمد امين . وتحدث معه في هذا الموضوع . فقال احمد امين : ان هذه المسألة من اختصاص رئيس لجنة الامتحانات وهو الآن بجانبي . فتحدث معه الهلالي عن حالة الطالب الذي تعهد والده بدفع المصروفات بعد الامتحان . فقال رئيس اللجنة : هذه قاعدة ليس لها استثناء ! وقال الهلالي : ولكن الاستثناء حدث عندما كان الدكتور طه عميداً لكلية الآداب . فقال رئيس اللجنة : من قال لك ذلك ؟ فقال الهلالي : الدكتور طه اخبرني بذلك . فقال رئيس اللجنة : الدكتور طه كذاب .. فقال الهلالي : ما دام الامر وصل الى هذا فلا داعي للكلام ، واعاد سماعة التليفون الى مكانها وسألته ماذا حدث فروى لي القصة بالتفصيل .

فتركته ، وذهبت الى بيتي . وارسلت الى الدكتور علي ابراهيم باشا مدير الجامعة كتاباً قلت له فيه : ارجو ان ترفع الى وزير المعارف استقالتي من الجامعة ، لاني لا اقبل ان اظل في الوسط الجامعي بعدما هبط الى هذا المستوى .. ان جامعة تضم استاذاً يتهم زميلا له بالكذب ، ليس في مقدوري ان ابقى فيها !

ولم يكد علي ابراهيم يتلقى هذا الخطاب ، حتى ذهب الى وزارة المعارف وقابل الهلالي وقال له : لقد تلقيت من الدكتور طه حسين خطاباً ارى ان مجرد اعترافي باني تلقيته يعد اهانة للجامعة .. وسأله الهلالي : واين هو خطاب الدكتور طه؟

فاعطاه له . وقرأه الهلالي وكتب هذه العبارة : « تقبل الاستقالة » .

وبعد اسبوعين صدر قرار تعييني مستشاراً لوزارة المعارف!

وصمت الدكتور طه حسين ، والقى بركبتيه بين يديه فبدا في صمته ، وهيئته اشبه بتمثال الكاتب المصري الجالس القرفصاء.

وعاد طه حسين الى الحديث عن الفقر . عدو البشرية .. عدوها القوي الذي لا يرحم !

وقلت ان الذي جعل الفقر اقوى من الفقراء .. هؤلاء الذين تسللوا من صفوف الفقراء ، وحاربوا في صف عدوهم .. الفقر ! هؤلاء الذين بعدما تعلموا بالمجان حاربوا مجانية التعليم !

كامل الشناوي

« اخبار اليوم »

من احمد رامي الى امين نخله

بعد فراق ١٨ سنة ، التقى الشاعران احمد رامي وامين نخلة في لبنان ، فاوحت اللقيا الى رامي هذه الابيات الرائعة ، مخاطباً بها صديقه نخلة :

لقيتك بعد يأس واشتياق ولم اك عالماً اين التلاقي
وكنت اهيم في دنياك علي اراك تلوح في ظل المآقي
اسائل عنك اين وكيف تحيا وهل عهد الهوى منه بواق
تحن الي قدر حنين قلبي اليك على مدى عهد الفراق
وقيل : اتاك فانهض واستبقه الى الضم المرجع والعناق
فسرت اليك يدفعني حنيني واكتم عبرتي مما الاقي
الى ان لحت في عيني خيالاً تجسد فيه حبي واعتراقي
واهوينا على عطف وجيد نضمهما ونحن في العناق
الى ان فاض دمعي من حنيني اليك وغام دمعك في المآقي

احمد رامي

الحلقة المفقودة في نهضتنا الادبية

– بقية المنشور في صفحة ٧ –

*

من ناشرين و كتبيين وموزعين وسينمائيين .

يكفي ان نستعرض الواقع لنتلمس اسباب الشكوى والتذمر العامين . يكفي ان نرى اكثر ما تصدره دور النشر والمطابع من مجلات استهتارية و كتب جنسية ، وقصص «انحلالية» وافلام خلاعية ، وصحف تجارية و . . . ويكفي ان نحتك بالناشرين الذين يبتلعون المؤلفات والمؤلفين ، ويستغلون الناشئة والمدارس وان ندخل المدارس والمعاهد التي تتجر بالناشئة وتقامر بمستقبل الشعوب .

بل اننا لا نعجب ، بعد الاطلاع على ذلك كله ، من قريب او بعيد لهذه الفوضى الضاربة اطنابها ، في صعيد الفكر والقلم ، ولهذه البلبلة في المفاهيم والمقاييس والموازين ، وهذه «العشائرية» في القيم والتقييم ، حتى ليخيل الينا ان « اسواق الخضر او مال القبان » قد انتقلت الى اسواق الادب والفكر في لبنان !

تبعة الاحرار

انني اتوقف معكم هنا لاتساءل بلسانكم مرة جديدة ، عما استفدناه من العلوم والمعارف النظرية التي حفظناها ? وعن نفع الشهادات والالقاب التي يفاخر بها بعضنا البعض الآخر ?

هل كان لتلك العلوم والمعلومات المحفوظة اثر في تطوير المجتمع يوازي الجهود والاموال المبذولة ? لا شك اننا لم نهدر عبثاً ما انفقناه من اموال وجهود واعمال . فنحن قد اتقنا المظاهر ، وسبقنا حتى اساتذتنا في الترف والبذخ . ولكن «ليس التكحل في العينين كالكحل » هذا هو منطق الحياة . التكلف والاصطناع لا يؤديان الا الى هذه النتائج التي نتخبط فيها ، وتعم الشكوى منها ، في كل صعيد .

والحق هو انه ما كان لنا قبل الآن ان نختار السبيل التي نسلكها ، لاننا لم نكن نملك زمام امورنا . اما الآن وقد بلغنا رشدنا ، فما علينا الا ان نرسم لانفسنا خطة السير في المستقبل . فاما ان نستمر في « استحالاتنا » كالضفادع ، فنفقد مبررات وجودنا ، واما ان نعمل على دعم شخصيتنا المتميزة فنزيد في مقومات كياننا ، ونحمل تبعات الاحرار .

هل نظل نتحول من مزارعين وصناعيين وتجار ، الى اطباء ومحامين وصيادلة ، لا نجد عملاً ، ام نتخصص في الزراعة ، وفي الصناعة وفي التجارة ، فنعمل كما في الماضي لانفسنا ولاوطاننا ? هل نثابر على استيراد الفيتامين ث (C) ، في علب محفوظة ، ونصفه في معالجة مرضانا ، وهو الفيتامين المتوفر في حمضياتنا ، بصورته الطبيعية ، في كل فصل من فصول السنة ?

وهل نتابع « استيراد » القوانين والانظمة والمقاييس الادبية والفكرية الموضوعة لسوانا وبعقلية غير عقلية شعوبنا ، وذلك كي ننشرها في الصحف ، دون ان نطبقها او نحاول تطبيقها حتى على انفسنا ? وهل نستمر على اعتبار كل سطر خطه «اجنبي» خيراً من اي « كتاب » عندنا ، الى ان يقوم احد المستشرقين فيدلنا على ما يحتويه ذلك الكتاب القديم من كنوز المعرفة ، ويمنحنا فوق ذلك لقب « دكتور » او ما شابه من الالقاب ?

اعود فاكرر القول بانني لست ادعو الى رجعة عما نحن آخذون به من اسباب الحضارة والمدنية ، بجميع اسبابها دون استثناء . ولكننا نريده اخذاً منسجماً مع استعدادنا ، وتطوراً يلائم مزاجنا وبيئتنا وعقائدنا في الحق والخير والكمال . نريدها ثقافة موجهة شطر استثمار مرافقنا الحيوية ، من تربة خصبة لعطاء ، وبحر هادىء جواد ، وسماء صافية خيرة . فيكون العلم لنا معواناً على بلوغ ما يبلغه الآخرون ، وما سبق ان بلغه اجدادنا ، لا ملهاة نتلهى بها ، وجدلاً بيزنطياً يحول بيننا وبين التعاون والتضامن والقوة !

وحينئذ نستمر في اداء رسالتنا الازلية ، فنجعل من مجتمعنا اولا ، مجتمعاً في المستوى الذي نريده له ، ويفرضه علينا سبقنا في هذا المضمار ، وذكاؤنا الوقاد ، وامكانات البيئة التي نعيش فيها ، من قلب العالم ، في الخلق والانشاء والتوجيه والاشعاع ولعل الشاعر القديم الذي حذر من الثوب المستعار ، كل ثوب انما عنانا بقوله المأثور :

من تردى برداء ما رآه لابيه
سوف يأتيه زمان يتمنى الموت فيه !

واننا نسأل الله ان لا تقودنا الغفلة الى ذلك المصير . فنحن متفائلون لاننا نؤمن بالله ، وهو خير محض . ونكره التشاؤم لانه من خلق الشيطان . فاذا كان ما كان حتى الآن خطوة او خطى كتبت علينا ، فمشيناها دون وعي ، فانه يتحتم علينا اليوم ، وقد وعينا ، ان نخطو الخطوة او الخطوات التي تقودنا الى الخلاص ، الى النجاة . واننا ان شاء الله لفاعلون !

رشاد دارغوث



١٩ سبتمبر ١٩٥٤ – سافر الاستاذ سعيد الغزي رئيس الوزارة السورية يرافقه الزعيم شقير رئيس الاركان العامة الى مصر حيث جرت لهما اجتماعات هامة مع البكباشي جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية وغيره من المسؤولين وقد عادا الى دمشق مساء .

٢٠ – صرح الماريشال تيتو ان يوجوسلافيا على استعداد للمساهمة في منظمة اوروبية حقيقية ولكنها لا تستطيع ان تتعاون مع منظمة حلف الاطلنطي ما لم تحتفظ هذه المنظمة بطابعها الدفاعي وتكف عن معاداة الشيوعية .

٢٣ – اصدر مجلس قيادة الثورة بمصر قراراً باسقاط الجنسية المصرية عن محمود ابو الفتح صاحب جريدة المصري وخمسة من اعضاء جمعية الاخوان المسلمين .

٢٤ – عقد اجتماع هام في نيودلهي بين رئيس وزراء اندونيسيا الدكتور ساسترو اميد جوجو وبين رئيس وزراء الهند البانديت جواهر نهرو للبحث في الوضع الدولي العام وفي احوال آسيا الراهنة بعد توقيع معاهدة حلف جنوب شرق اسيا . وقد اتفق الرئيسان على ضرورة دعوة مؤتمر يمثل الدول الاسيوية الافريقية ، ينعقد في المستقبل القريب .

٢٥ – ارسلت بريطانيا مذكرة حول اعادة السيادة الى المانيا وحول مساهمات المانيا في الدفاع الغربي الى الدول الثماني التي ستشترك في مؤتمر لندن الذي سينعقد في ٢٨ الجاري .

٢٧ – جرت محادثات خاصة بين السيد نوري السعيد رئيس الوزارة العراقية الموجود حالياً في لندن وبين المستر انتوني ايدن وزير الخارجية البريطانية .

٢٨ – قرر وزراء خارجية الدول الغربية التسع المجتمعون في لندن بصورة مبدئية ضم المانيا الغربية وايطاليا الى حلف بروكسل المؤلف من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا واللوكسمبورج .

٢٩ – بدأت في طهران محاكمة حسين فاطمي وزير الخارجية الايرانية في وزارة مصدق امام المحكمة العسكرية بتهمة محاولة قلب حكم الشاه .

اول اكتوبر ١٩٥٤ – اذاع راديو بكين نداء الى القوات الشعبية الصينية دعاهم فيه الى التأهب لغزو جزيرة فرموزا التي يحتلها شان كاي شيك وحكومة الصين الوطنية .

٣ – انتهى مؤتمر لندن باتفاق تاريخي فقد تم نهائياً بين الدول التسع المشتركة به على طريقة اعادة تسليح المانيا واشراكها بالدفاع الغربي الاوروبي وبالحلف الاطلسي ووقع الوزراء التسعة على سلسلة من الوثائق المتضمنة اتفاقات وضمانات وشروط لمراقبة التسلح الاوروبي ووضع القوات الالمانية باشراف قيادة الحلف الاطلسي .

وقد قررت الدول الغربية الثلاث فرنسا وبريطانيا وامريكا انهاء الاحتلال في المانيا . وقد اعطى المستشار ايدناور تعهداً بالا تنتج المانيا الغربية في بلادها اية اسلحة ذرية او كيمائية او جرثومية او قذائف مسيرة او الغام مغناطيسية او سفن حربية تزيد حمولتها على الثلاثة الاف طن .

٤ – صرح المستشار ايدناور انه مرتاح لنتيجة مؤتمر لندن وقال ستحتاج المانيا الى ١٨ شهراً او سنتين بالاكثر لتجنيد اثني عشرة فرقة تشترك بالدفاع الغربي وقوة جوية وذلك بموجب اتفاقات المؤتمر .

٥ – وقعت ايطاليا ويوجوسلافيا اتفاقية تريستا كما وقعها وكيل الخارجية البريطانية والمفوض السامي الامريكي في فينا وينص الاتفاق على انسحاب القوات الانجليزية والامريكية المرابطة ويقضي الاتفاق بتقسيم ارض تريستا الحرة نهائياً بين ايطاليا ويوجوسلافيا في المنطقة التي تختارها في خلال سنة واحدة .

٦ – القى الرفيق مولوتوف وزير الخارجية السوفياتية خطاباً خطيراً في برلين لمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة لقيام جمهورية المانيا الشعبية وقد شجب في خطابه فكرة تقوية وانعاش الجيش الالماني وتزويده بالسلاح وضمه الى الاحلاف العدوانية التي تنشأ في اوروبا وقال ان روسيا مستعدة للمساهمة في حل القضية الالمانية عن طريق اجراء انتخابات حرة تقرر مصيرها .

٨ – تمت بين الجانبين المصري والبريطاني تسوية جميع المسائل المالية التي كانت معلقة في مباحثات اتفاق قاعدة قناة السويس وينتظر ان يتم قريباً التوقيع النهائي على الاتفاق . وقد اصدرت الحكومة المصرية اخيراً قراراً بتعيين اللواء علي عامر قائداً لمنطقة قناة السويس وقد باشر بتنظيم قيادته .

٩ – القى السير ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية خطاباً قال فيه انه سوف يثابر مدى حياته على العمل للتفاهم السلمي مع الاتحاد السوفياتي .

١٠ – اصدرت المحكمة العسكرية في طهران حكما بالاعدام على الدكتور حسين فاطمي وزير خارجية ايران السابق وقد استأنف الدكتور فاطمي الحكم .

١٢ – اذاع راديو موسكو بياناً رسمياً مشتركا وقعته حكومتا الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية جاء فيه ان الدولتين تعتبران استمرار القوات الامريكية في احتلال جزيرة فرموزا عملا يتعارض ومهمة المحافظة على السلام . وقد قرر الاتحاد السوفياتي سحب قواته من ميناء ارثر الصينية الشعبية .

– رفضت الحكومة اليابانية رسمياً في بلاغ اذاعه مكتب الانباء الياباني العرض الصيني السوفياتي لاقامة علاقات دبلوماسية طبيعية لقاء تخلي اليابان عن سياستها الخارجية الحالية .

١٣ – صدر في نيودلهي وفي باريس بلاغ رسمي مشترك عن الحكومتين الهندية والفرنسية بشأن المستعمرات الفرنسية في الهند يعلن اتفاق الحكومتين على ترك حق تقرير مصير المستعمرات الفرنسية بالهند لسكان تلك المستعمرات .

١٤ – تشاور منديس فرانس رئيس الحكومة الفرنسية مع رئيس مقاطعة السار للبت بمصير هذه المقاطعة المتنازع عليها بين فرنسا والمانيا الغربية وكان رئيس الوزارة الفرنسية قد صرح بانه لن يطلب الى البرلمان الموافقة على اتفاقات لندن قبل تسوية مسألة السار .

– انتخب الدكتور ناظم القدسي رئيساً للمجلس النيابي السوري الجديد . وقد قدم الاستاذ سعيد الغزي رئيس الوزارة استقالة حكومته وبدأ رئيس الجمهورية استشاراته .

١٥ – وصل الى انجلترا امبراطور الحبشة هيلاسلاسي يرافقه نجله الدوق هيرار في زيارة رسمية لبريطانيا .

١٦ – جرت الانتخابات النيابية الاردنية ففاز المستقلون باكثرية المقاعد . وقد قامت في عمان مظاهرات وقعت خلالها بعض الحوادث ادت الى وقوع عدد من الضحايا .

دار ريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان
تلفون ٢٨٧٥٧